

صفحات من تاريخ عُمان في العصر الإسلامي

(منذ دخول الاسلام حتى سنة ١٣٤٤ هـ)

دكتور
عبد المتوكل بن محمد كركاش

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط

١٩٩١



دار نشر الثقافة بالاسكندرية

صفحات من
تاريخ عُمان في العصر الإسلامي
(منذ دخول الاسلام حتى سنة ١٣٤٤ هـ)

دكتور
عبدالمعطي محمد السعيد

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط

١٩٩١

دار نشر الثقافة بالاسكندرية

مقدمة

موضوع هذا البحث عن تاريخ عمان ، هذا القطر العربى الاسلامى الذى يتمتع بموقع متميز فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العربية ، ومن كتابات الجغرافيين المسلمين يمكن القول أن عمان من الدول القليلة فى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج التى تكاد تتشابه الى حد بعيد من حيث المساحة والحدود قديما وحديثا ، بل أنها كانت فى العصور الاسلامية الأولى أكثر اتساعا مما هى عليه الآن ، فيحدها من الشمال سواحل البحرين ، ومن الشمال الغربى بلاد اليمامة^(١) أما الجنوب فيطل على بحر عرف باسمها فى العصور الوسطى اذ يذكر صاحب الروض المعطار « كانت مياه المحيط المقابلة لعمان يطلق عليها البحر العماني ، كما يطلق على البحار المواجهة للهند بحر الهند »^(٢) ، أما جنوبها الغربى فيتصل بحضرموت^(٣) وكان اقليم الشحر من توابع عمان أو جزءا

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٧٩ ، ج ١ ، ص ٣٤٥ ، الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٨٢ ، ص ٦١٩ .

(٢) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(٣) انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ ، ج ٤ ، ص ١٥١ .

من أملاكها ، ويعترف الجغرافيون باستقلالية عمان في تعريفهم بها فهي مستقلة بذاتها عامرة بخيراتها ، وهي إقليم سلطاني مستقل^(٤) ، فعمان من البلاد القليلة في شبه الجزيرة العربية التي عرفت نظام الحكم الوراثي ، وكانت قبيل الاسلام يتوارثها آل الجندى ، ويفهم هذا المعنى مما ذكره ابن حزم ، « كانت العرب ملوكا في بلادهم يتوارثون الملك كابرا عن كابر كملوك اليمن ، * * * وجيفر وعباد ابني الجندى ملكي عمان »^(٥) وكانت عاصمتها في القديم مدينة صحار التي اطنب الجغرافيون في وصف مبانيها ومساجدها ، وما كانت عليه من مظاهر الثراء نتيجة للنشاط التجارى المزدهر مع معظم موانئ الخليج والهند وجنوب شرق آسيا^(٦) هذا الموقع المتميز جعل عمان في ملتقى التيارات الحضارية ذات الجذور العريقة والتي تأثرت بها وأثرت فيها ومما زاد من قوة هذا التأثير طبيعة عمان الداخلية والنشاط البحرى والتجارى لسكانها مما جعلها ملتقى لحركة بشرية بالاضافة الى الثقافات والديانات المتعددة التي عرفتها عمان قبل الاسلام .

وعندما ظهر الاسلام في الحجاز ، عرف طريقه الى عمان بمبادرة من أهلها الذين سعوا الى اعتناقه قبل أن تصلهم دعوة الرسول ﷺ

(٤) الاضطخري ، مسالك الممالك ، لندن ١٩١٧ ، ص ٢٥ — ٢٦ : الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

(٥) انظر : ابن حزم ، الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، جدة ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٦) انظر على سبيل المثال : ابن سعيد المغربى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١١٨ ، الاضطخري ، المصدر السابق ، ص ٢٥ ، ياقوت ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

بالدخول فيه ، وهذا الأمر أعطى أهل عمان مكانة مميزة طوال عصر الخلفاء الراشدين . شعر العمانيون خلالها بالاستقلالية في إدارة شئونهم ، واستمرت هذه الحال حتى أسندت ولاية العراق ثم الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية للحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥ - ٩٥ هـ) فبدأ الصدام الأول مرة بين السلطة الحاكمة وبين العمانيين ، ولا يمكن الادعاء بأن هجمات الحجاج على عمان ورغبته في إخضاعها لنفوذه كانت لأسباب مذهبية ، لأن الحركة الأباضية لم تكن قد تبلورت في عمان بعد ، وكان قادة الدعوة في البصرة وعلى رأسهم إمامها جابر بن زيد ينشرون مذهبهم في سرية تامة ، وفي رأينا أن الحجاج أراد أن يضم هذا الاقليم المستقل الذي يتوارثه آل الجندى ويخضعه لسيطرة الخلافة الأموية ، في الوقت الذي حاول فيه حكام عمان الحفاظ على استقلالهم ، ومن المحتمل أن العصبية القبلية بين النزارية واليمينية قد لعبت دورها في تحركات الحجاج وتوجيهه الحملات المتتالية لإخضاع عمان .

ومع نهاية العصر الأموي كانت الحركة الأباضية قد نضجت في جنوب شبه الجزيرة العربية : في عمان وحضرموت واليمن وكانت الفترة التي قضاها جابر بن زيد في عمان منفيا من الحجاج بن يوسف الثقفي كافية ليضع جابر بذور الدعوة في موطنه الأصلي وبين قبيلته الأزدي لتنته بعد ذلك هذه البذور وتؤتي ثمارها في الأرض العمانية ، وبدأت تظهر آثار هذه الدعوة الى حيز الوجود في مشاركة أهل عمان المؤثرة والفعالة في ثورة عبد الله بن يحيى طالب الحق في حضرموت واليمن والتي مدت نفوذها الى الحجاز (١٢٩ - ١٣١ هـ) ، ثم قامت بعد هذه الحركة بوقت قليل إمامة الظهور الأولى في عمان ، تأكيدا على تغلغل المذهب الأباضي بين أعداد كبيرة من العمانيين وسيصبح تاريخ عمان منذ ذلك الوقت مرتبطا بتاريخ الحركة الأباضية .

والحقيقة التي يجب الاعتراف بها في هذه المقدمة ، أن دراسة تاريخ عمان في العصر الاسلامي يحتاج الى قدر كبير من الصبر والمثابرة ، فالوثائق التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها قليلة بل نادرة في بعض الفترات ، وفي البعض الآخر تصمت المصادر تماما عن ذكر أى شىء عن تاريخ عمان ، مما دفع بعض المؤرخين المحدثين الى الادعاء بأن المؤرخين المسلمين قد أهملوا عن عمد ذكر تاريخ عمان في مؤلفاتهم وموسوعاتهم التاريخية^(٧) وهذا الزعم في رأينا يجانبه الصواب .

فمن البديهيات أن اهتمام المؤرخين القدماء من أصحاب كتب التاريخ العام أمثال خليفة بن خياط واليعقوبى والدينورى والطبرى والمسعودى ومن أخذ عنهم بعد ذلك ، كان يتجه الى متابعة حركة الأحداث وتسجيلها وكانوا يضعون عيونهم على مركز الأحداث وهى عواصم الخلافة سواء كانت في دمشق أو بغداد أو غيرها من العواصم الاسلامية ، ثم تتسع دائرة اهتمامهم بعد ذلك لتسجيل ما يجرى من أحداث في الأقاليم الاسلامية المختلفة التي لها علاقة بمركز الأحداث . فنلاحظ أنه في المرات القليلة التي تعرضت فيها عمان لحملة من حملات الخلافة سواء في العصر الأموى أو العباسى ، لم تغفل المصادر ذكر هذه الحملات وما تبعها من أحداث « دون اهتمال متعمد أو اعراض مقصود »^(٨) ولكن برز في نفس الوقت ما يعرف بالتاريخ المحلى في معظم الأقطار الاسلامية حتى تلك التي كانت بها عواصم الخلافة في بعض الأحيان مثل دمشق وبغداد والقاهرة ، فقد كثرت المؤلفات المحلية التي تحدثت عن تاريخ بغداد

(٧) انظر على سبيل المثال : رجب محمد عبد الحليم ومن أخذ عنهم :
العمانيون والملاحاة والتجارة ونشر الاسلام ، مسقط ١٩٨٩ ، ص ٥
وما بعدها .

(٨) المرجع السابق ، ص ٦ .

وتاريخ دمشق وتاريخ مصر والقاهرة وتاريخ اليمن والمغرب وبخارى والموصل وغيرها كثير ، ولكننا للأسف لا نصادف مثل هذه المؤلفات عن تاريخ عمان في العصر الاسلامي الا فيما ندر ولا يمكن تصنيفه بين كتب التاريخ بل ينضوى تحت باب الفقه واللغة والأنساب وتأتى الاشارات التاريخية عرضا ، ويجب ألا نغفل احتمال أن تكون بعض المصادر التاريخية العمانية قد فقدت بفعل الزمن أو الكوارث ، لأن بعض المؤرخين العمانيين في العصر الحديث أشاروا في مؤلفاتهم الى اعتمادهم على مصادر قديمة ، فيذكر الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي في مقدمة كتابه عمان عبر التاريخ : « فهذا تاريخ عمان .. وهذا ما حصلنا عليه ، وإن كان أكثره كنعناء مغرب ، لأنه غالبا لم يدون ، وما دون منه لم ينشر ولم يتبين ، ولكن بعض ما وجدناه ربما أغنى عما فقدناه .. ومن أين لنا أن ندرك المفقود من تاريخ عمان » (٩) .

أما المؤرخ العماني المشهور نور الدين السالمي (ت ١٩١٣ م) ، فقد أدرك حقيقة الندرة الشديدة في المصادر التاريخية العمانية ، وعلق على هذا قائلا « ان التاريخ لم يكن من تسغل الأصحاب ، بل كان اشتغالهم باقامة العدل وتأثير العلوم الدينية وبيان ما لا بد من بيانه للناس ، أخذوا بالأهم فالأهم ، فلذلك لا نجد لهم سيرة مجتمعة ، ولا تاريخا شاملا » (١٠) وهكذا يعترف السالمي أن الاهتمام لدى علماء عمان كان منصبا على الفواحي الدينية وشرح تعاليم المذهب الأباضي للناس. وهذا عندهم أهم من تسجيل الأحداث التاريخية .

(٩) انظر : سالم بن حمود بن شامس السيابي ، عمان عبر التاريخ ، (طبع وزارة التراث العمانية ١٩٨٢ م) ، ج ١ ، ص ٥ .

(١٠) انظر : نور الدين السالمي ، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ، (طبعة القلعة بهصر) ، ص ٤ .

ويؤكد صاحب كتاب كشف الغمة^(١١) هذا المعنى المذهبي في الهدف الذي دفعه لتأليف مؤلفه فيقول « .. لما رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أهل مذهبهم الشريف .. وجعلت ظاهره في القصص والأخبار ، وباطنه في المذهب المختار » .

مما سبق يتضح أن اهتمام المؤرخين المحليين في عمان — ومعظمهم حديثين — كان منصبا على العلوم الدينية وشرح تعاليم المذهب الإباضي، ولاشك أن هذه الندرة في المصادر التاريخية جعل الباحث يعتمد الى حد بعيد على ما أورده المراجع المحلية من اشارات تاريخية تتكرر نصوصها من مصدر الى آخر ، والتي غالبا ما تختلف في روايتها مع المصادر العامة فكان لا مناص من التمهيص والمقارنة .. وتطبيق منهج البحث العلمي حتى يمكن اللقاء الضوء على القضايا الرئيسية في تاريخ عمان في العصر الاسلامي وهذا ما قصدت اليه في هذا البحث ، والذي دفعني الى هذا أنه قد اتيج لي أثناء فترة اعارتي لجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان — كأستاذ مشارك للتاريخ والحضارة الاسلامية — أن أقوم بتدريس بعض المقررات التي تتناول تاريخ وحضارة عمان في العصر الاسلامي مما أتاح لي الاطلاع على العديد من المصادر والمراجع التي تتناول هذه الموضوعات ، وقد اثرت بعض القضايا حول حقيقة بعض المعلومات وتاريخ حدوثها والاختلاف بين المصادر في ذكر وقائعها وأبطالها وقد رأيت أن أضمن صفحات هذا البحث وجهة نظري في بعض هذه القضايا ، لذلك كان عنوانه « صفحات من تاريخ عمان في العصر

(١١) انظر : كتاب تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، المنسوب الى سرحان بن سعيد الزكوي العماني ، تحقيق عبد المجيد القيس ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٩ ، ١٠ .

الاسلامى » وقد حددت لهذه الدراسة الفترة منذ دخول الاسلام الى عمان وحتى سقوط الامامة الاباضية الاولى سنة ١٣٤ هـ ، وهى من أكثر الفترات خصوبة فى التاريخ العماني ، وسوف أتبع هذا البحث بجزء آخر يتعلق بالفترة التالية — اذا كان فى العمر بقية •

وأعترف بداية بأن الآراء التى وردت فى هذا البحث مجرد اجتهادات تحتل الصواب والخطأ ، ففى ظنى أن مشكلة المصادر وتضاربها فى مجال التاريخ الاسلامى بوجه عام وليس تاريخ عمان فقط ، تجعل من الصعب على الباحث الوصول الى الحقيقة كاملة ، فحسبه الاقتراب منها قدر المستطاع ، والله أسأل أن يوفقنا الى ما رمينا اليه ، وأن يجازينا على قدر الجهد والاخلاص فهو نعم المولى ونعم النصير •

دكتور عبد المنعم سلطان

الفصل الأول

عمان في عصر النبوة

نتشير المصادر التاريخية وكتب الأنساب أن الاسلام قد عرف طريقه الى عمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الاسلامية ، وأن هذا كان عن طريق مبادرات فردية جاءت من أهل عمان أنفسهم — على غير المؤلف — فيروى أن أول من أسلم من العمانيين رجل يدعى « مازن بن غضوبة »^(١) من سكان مدينة عمانية تسمى سمائل أو سمايل^(٢) .

ويعرفنا أحد النسابين بمازن هذا في قوله « وله خبر عجيب يخرج في أعلام النبوة من أخبار الكهان »^(٣) . وحسب ما نجده من وصف

(١) هو مازن بن غضوبة أو الغضوب ، بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر ويرجع نسبه الى الغوث بن طيء (انظر : أبو بكر محمد الهمداني ، عجلة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب) ، (القاهرة ١٩٧٣) ص ٥٥ ، نور الدين السالمى ، تحفة الاعيان ، ص ٢٦ .

(٢) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٥٥ ، سرحان بن سعيد الزكوى ، المرجع السابق ، ص ٣٥ . ويذكر صاحب الروض المعطار أن سمائل قرية بأرض عمان منها مازن بن غضوبة الطائي (الحميري ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦) .

(٣) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

للكهانة والكهان^(٤) عند العرب قبل الاسلام ، فان الرواية السابقة توحى بأن مازن بن غضوبة كان من مشاهير بلدته سمائل ومن علمائها وكهانها المعدودين لأن الكاهن غالباً ما يكون عفيف النفس يميل الى العزلة وكثرة التأمل والتفكير الثاقب « وربما قويت النفس فأشرفت به على دراية الغائبات قبل ورودها »^(٥) ، وكان مازن يقوم على خدمة صنم مشهور في بلدته سمائل يسمى « ناجر » كانت تعظمه بنو خطامه وبنو ناجية من طيء^(٦) .

وتختلط الحقيقة بالخيال فيما رواه المؤرخون عن الطريقة التي أسلم بها مازن بن غضوبة ، وعن كيفية معرفته بظهور الاسلام ، فيروى صاحب الروض المعطار وينقل عنه المؤرخون العمانيون ، أن مازن كان في خدمة صنم في الجاهلية — كما ذكرنا — فقدم له يوماً ذبيحة قربانا فسمع صوتاً خارجاً من الصنم يقول :

يا مازن اسمع تسر	ظهر خير وبطن شر
بعث نبى من مضر	بدين الله الأكبر
فدع نحيتنا من حجر	تسلم من حر صقر

(٤) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٥) انظر : المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج ٢ ، ص ١٧٥ . وعن الكهانة والكهان ، انظر أيضاً ، النويري ، نهاية الأرب (طبعة الهيئة العامة للكتاب) ، ج ٣ ، ص ١٢٨ وما بعدها ، محمود شكرى الألوسى ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، (طبع القاهرة بدون تاريخ) ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ وما بعدها .
(٦) انظر : الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، السالى ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

ففزع مازن من ذلك ، وبعد عدة أيام ذبح للصنم ذبيحة أخرى ، فخرج من الصنم صوتا آخر يبشره بالنبى المرسل ، ويأمره بأن يتبعه لينجو بنفسه من نار جهنم .

وتستمر الرواية فتذكر أنه في الوقت الذى كان فيه مازن يعاني الحيرة مما سمعه من الصنم ، قدم رجل من الحجاز والتقى بمازن وأخبره بدعوة الرسول ﷺ وظهور الاسلام هناك (٧) .

وإذا نحينا جانبا العنصر القصصى في الرواية السابقة وما قيل عن صنم مازن الذى يقرض الشعر ويتحدث الى سادنه ، فانه يمكن القول بأن مازن قد التقى برجل قادم من الحجاز ، وتحدث اليه فأخبره عن الحدث المهم هناك وهو ظهور الرسول ﷺ وانتشار الدعوة الاسلامية، ولما كان مازن على قدر من العلم ويمارس الكهانة والسدانة ، فقد أدرك من حديث الحجازى أهمية ما يدعو اليه الرسول ﷺ فحزم أمره على الرحيل ليلتقى بصاحب الرسالة ﷺ ، ويبدو أن مازن قد سمع من الرجل ما يشير الى أن الاسلام يدعو الى التوحيد وينبذ عبادة الأصنام، فبادر بتحطيم الصنم الذى يسدنه ، وشد رحاله الى الحجاز وهناك التقى بالرسول ﷺ ، وأعلن اسلامه بين يديه ، وسأل الرسول ﷺ أن يدعو له أن يذهب الله عنه ولعه بالطرب وشرب الخمر ، فدعا له الرسول ﷺ ، فاستجاب الله لدعائه وأقلع عن هذه المحرمات (٨) .

ومن الغريب أننا لا نجد تاريخا محددا لهذه الحادثة التى التقى فيها مازن بالرسول ﷺ ، ولكن يتضح من الرواية العمانية أن مازن بعد عودته الى بلده ، تمكن من أن يجذب أعدادا من أهل عمان بوجه عام

(٧) انظر التفاصيل : الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ،

السالى ، المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٨) انظر : الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٥٥ ، السالى ، المرجع

السابق ص ٣٦ .

ومن بلدته سمائل على وجه الخصوص الى الدخول في الاسلام ، ولعل ما ساعده على ذلك مكانته الدينية وشهرته بين الناس^(٩) ويقال أنه بنى بسمائل مسجدا سنة ٦هـ مازال يحمل اسمه حتى الآن^(١٠) ولو صح هذا التاريخ فإنه يوحى بالتقريب عن تاريخ زيارة مازن بن غضوبة للرسول ﷺ .

وفي رواية لابن سعد يفهم أن أعدادا كبيرة من أهل عمان قد أسلموا في هذه الفترة مما دعا الرسول ﷺ الى ارسال من يعلمهم شئون دينهم ويجمع منهم الصدقات ، فنقول الرواية « أسلم أهل عمان فبعث اليهم رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي ليعلمهم شرائع الاسلام ويصدق أموالهم »^(١١) .

واذا كان من الشائع في المصادر أن العلاء بن الحضرمي قد أوفده الرسول ﷺ الى البحرين مبعوثا للمنذر بن ساوى حاكمها في ذي القعدة سنة ٨هـ^(١٢) أي بعد فتح مكة فإن ذكره كمبعوث الى عمان يعطى احتمال بأنه قد جاء اليها قبل هذا التاريخ للقيام بالمهمة التي ذكرها ابن سعد ، وقبل قدوم عمرو بن العاص حاملا رسالة الرسول ﷺ الى عبد وجيفر ملكي عمان — كما سنوضح في الصفحات التالية .

(٩) انظر : ابن رزيق ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، (طبع وزارة التراث العماني ١٩٧٨م) ص ٦ .
(١٠) انظر التفاصيل : سيف البطاش ، ارشاد السائل الى معرفة الاوائل (سلطنة عمان ١٩٨٨) ص ١٣٤ — ١٣٥ .
(١١) ابن سعد : الطبقات الكبرى (طبعة دار الشعب) ج ١ ، قسم ٢ ص ٨٠ .

(١٢) انظر : المصدر السابق ، ص ١٩ ، قارن : ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

وأرجح أن مهمة العلاء كانت محددة في إقليم معين أو جزء من عمان ، ومما يوحى بذلك أن ابن سعد يستطرد في روايته فيقول : « فخرج وفدهم (يقصد أهل عمان) الى رسول الله ، فيهم أسد بن يبرح الطاحي^(١٣) فلقوا رسول الله فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم . . . فأرسل معهم « مخربة العبدى »^(١٤) . . . ثم قدم بعدهم « سلمة بن عباد الأزدي » في جماعة من قومه ، فاستفسر من الرسول ﷺ عما يعبد وما يدعو اليه ، فشرح له الرسول ﷺ فأسلم « سلمة » ومن معه ودعا لهم الرسول أن يجمع كلمتهم على الخير »^(١٥) .

ولم يذكر ابن سعد تاريخا محددا لهذه الوفود العمانية التي التقت بالرسول ﷺ في المدينة ، ولكن النويري الذي ينقل عنه يذكر لنا أنها قدمت على الرسول ﷺ بعد فتح مكة^(١٦) ، وكما سنلاحظ من عرض الأحداث بعد ذلك أن هذه الوفود العمانية ، ومن بعثه الرسول ﷺ الى أهل عمان مثل العلاء بن الحضرمي ، ومخربة العبدى كان حدوثها قبل قدوم عمرو بن العاص الى عمان .

(١٣) الطاحي : منسوب الى طاحبة بن سود بن الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء ، بطن من الأزدي (الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٨٤) .

(١٤) يسميه خليفة بن خياط (مخرقة العبدى) ويبدو أنه تحريف ، وكان مخربة من بين أعضاء الوفد الذي قدم على الرسول ﷺ في المدينة من قبيلة عبد القيس يعلنون اسلامهم ، وكان للعمانيين ايادى بيضاء لدى مخربة ، فأراد ان يرد لهم الجهيل ، فطلب من الرسول ﷺ أن يرسله الى عمان ليقوم بالمهمة المطلوبة ، فاستجاب له الرسول ﷺ (انظر : خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ١٤٥ .

(١٥) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٨١ .

(١٦) النويري ، المصدر السابق ، ج ١٨ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

ومما سبق عرضه يمكن التأكيد على أن انتشار الاسلام في عمان قد جاء عن طريق حركة أهل عمان ومبادرتهم بالتوجه الى المدينة واعتناق الدين الاسلامي عن رغبة واقتناع ، ولكن الدعوة الرسمية — ان صح هذا التعبير — للعُمانيين للانضمام تحت راية الاسلام ، جاءت عندما بعث الرسول ﷺ بكتاب الى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي يدعوهما الى الاسلام وقد أوردت المصادر خبر هذه الرسالة النبوية ، ولكن كثرة الخلاف بين هذه المصادر قد أوقعنا في حيرة حول تأريخ ارسال هذه الرسالة وشخصية حامل الرسالة ، والصيغة التي كتبت به وهل كانت رسالة واحدة أم أكثر ، كل هذه الأمور تحتاج الى اجابة واضحة لأن المصادر قد خلطت بينها وكررت روايات متنوعة دون تحديد أو حسم .

وأقدم ما وصل اليينا في هذا الموضوع رواية ابن هشام (ت ٢١٣) في السيرة حيث يقول أن الرسول ﷺ بعث الرسل الى الملوك بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية وذكر أسماء الرسل وأسماء من أرسلوا اليهم ومن بين هؤلاء : « عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعبد (١٧) ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان » (١٨) وبما أن أحداث الحديبية قد وقعت في ذي القعدة سنة ٦ هـ ، فانه من المحتمل طبقا لهذه الرواية أن الرسول ﷺ قد بعث عمرو بن العاص الى عمان في أوائل سنة ٧ هـ (١٩) .

(١٧) يجدر بالملاحظة أن بعض المصادر تذكره «عبد» والبعض «عبد» .

(١٨) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(١٩) يذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ قد بعث الرسل بكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، وذلك بعد عودته من الحديبية ، وتحرك سنة ففر منهم في المحرم سنة ٧ هـ ، ولم يذكر من بينهم عمرو بن العاص (انظر : الطبقات الكبرى ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٥) .

وهنا يثار سؤال مهم ، هل كان عمرو بن العاص قد أسلم في هذا التاريخ أو قبله ؟

وطبقا لرواية ابن هشام بإسناد عن عمرو بن العاص نفسه أنه أعلن إسلامه في المدينة أمام الرسول ﷺ « قبل انفتح » (٢٠) فهل المقصود هنا فتح مكة ؟ فإذا كان الأمر كذلك فرواية ابن هشام لا تستقيم ، فلا يعقل أن يرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاص مبعوثا الى عمان وهو على شركه ، أم المقصود بالفتح هنا «الحديبية» التي نزلت فيها سورة الفتح « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (٢١) ، وإذا كان الاحتمال الأخير صحيحا ، فان رواية ابن هشام تتسق زمنيا بين اسلام عمرو بن العاص وارساله الى عمان ، ونلاحظ أن المصادر المتأخرة تذكر رواية ابن هشام فيما يختص باسلام عمرو بن العاص ، وتحدد تاريخا لاسلامه عام خيبر سنة ٥٧هـ (٢٢) أو بين الحديبية وخيبر (٢٣) ولكن تعود لتنفى ما سبق لتؤكد أن الأصح هو أن عمرو بن العاص أسلم في صفر سنة ٥٨هـ (٢٤) وهكذا فان رواية ابن هشام متضاربة ولا يمكن الأخذ بها .

وتأتى في الترتيب الزمني بعد ذلك رواية ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)

(٢٠) انظر : ابن هشام ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٢١) سورة الفتح ٤٨ : ١ .

(٢٢) ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ١٩٧٠)

ج ٤ ، ص ٢٤٥ .

(٢٣) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، (القاهرة ١٣٢٨ هـ)

ج ٣ ، ص ٢ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، (القاهرة

١٣٢٨ هـ) ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

(٢٤) انظر : ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ، ابن حجر ،

المصدر السابق ص ٢ ، ابن عبد البر ، المصدر السابق ، ص ٥٠٨ .

فيقول : « ٠٠ بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندي ٠٠ » (٢٥) .

أما البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) في كتابه فتوح البلدان فيعطينا أكثر من رواية في هذا الموضوع ، ولأهميتها في مناقشة قضيتنا سأوردها بنصها :

« كان الأغلبين على عمان الأزدي ، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي ، فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ أبا زيد الأنصاري أحد الخزرج وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ — واسمه فيما ذكر الكلبي قيس بن سكن بن زيد بن حرام ، وقال بعض البصريين : اسمه عمرو بن أخطب ٠٠ وقال سعيد بن أوس الأنصاري : اسمه ثابت ابن زيد ! — وبعث عمرو بن العاص السهمي الى عبد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه ، يدعوهم فيه الى الاسلام وقال : ان أجاب القوم الى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير وأبو زيد على الصلاة وأخذ الاسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن ، فلما قدم أبو زيد وعمرو عمان ، وجدا عبدا وجيفرا بصحار (٢٦) على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبي ﷺ اليهما ، فأسلما ودعوا العرب هناك الى الاسلام ، فأجابوا اليه ورغبوا فيه ، فلم يزل عمرو وأبو زيد بعمان حتى

(٢٥) ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٨ .

(٢٦) كانت صحار عاصمة عمان في ذلك الوقت ميناء مشهور على ساحل الخليج العربي ، ويعدها المؤرخون من بين أهم أسواق العرب المشهورة قبل الاسلام ، ويعتقد سوقها في أول رجب من كل عام ، ولا يحتاج فيها الى خفارة لأنها كانت أرض مملكة ، وكان آل الجلندي يوفرون الامان للتجار ويأخذون منهم العشر (انظر : تاريخ اليعقوبي ، (بيروت بدون تاريخ) ج ٦ ، ص ٢٧٠ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف (بيروت ١٩٨١) ص ٢٦٠) .

قبض ﷺ ويقال أن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك « (٢٧) .
ويستطرد البلاذري قائلاً « وقد قاتل قوم : أن رسول الله ﷺ كان
وجه أبا زيد بكتابه إلى عبد وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة
ست ، ووجه عمرا في سنة ثمان ، بعد إسلامه بقليل ، وكان إسلامه . .
في صفر سنة ثمان . . وأن رسول الله ﷺ قاتل لأبي زيد : خذ الصدقة
من المسلمين والجزية من المجوس » (٢٨) .

ويفهم من روايات البلاذري أن الرسول ﷺ قد بعث إلى عمان
مبعوثين ، ويذكر أبو زيد الأنصاري ويعرفه بأنه أحد من جمع القرآن
على عهد الرسول ﷺ ومن الغريب أن البلاذري يزيد من الغموض
حول شخصية هذا الصحابي ، فيعطي لنا غير اسمه الذي ذكره ثلاثة
أسماء أخرى ، فأى الأسماء يمكننا الاعتماد عليها في بحثنا عن حقيقته
ودوره في عمان . ولاسيما أنه في روايته الثانية يفصل بين دور أبي زيد
هذا وبين عمرو بن العاص ، فالأول قد جاء إلى عمان سنة ٦هـ والثاني
سنة ٨هـ .

ومن الأهمية أن نلاحظ انفراد البلاذري بذكر هذه الرواية
التفصيلية عن أبي زيد الأنصاري ، فيما عدا إشارة عابرة ذكرها خليفة بن
خياط (ت ٢٤٠هـ) في استعراضه لعمال الرسول ﷺ فقال : « وبعث
عمرو بن العاص إلى عمان ، قبض رسول الله وعمره عليها ، ويقال قد

(٢٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ،
١٩٥٦ ، ج ١ ، ص ٩٢ ، وينقل عنه هذا النص باختصار قداه بن جعفر .
(ت ٣٢٩) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة (طبع العراق ١٩٨١) ص ٢٧٦ .
(٢٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

كان بعث أبنا زيد الأنصاري الى عمان» (٢٩) مما يرجح أن وفود أبي زيد الأنصاري ورحيله عن عمان كان قبل قدوم عمرو بن العاص .

ويختلف اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ) مع الروايات السابقة في تاريخ ارسال عمرو بن العاص الى عمان ، فيروى في أحداث سنة ٥٩ هـ عن أخبار الرسل الذين أوفدهم الرسول ﷺ فيقول : « • • • وعمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابني الجلندى الى عمان » (٣٠) .

أما الطبرى فيذكر ثلاث روايات مختلفة للتواريخ عن بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص الى عمان : فيروى في أحداث سنة ٥٦ هـ بعد ذكر الحديبية عن رسل الرسول ﷺ الى الملوك ، أنه بعث « عمرو بن العاص الى جيفر بن جلندى وعباد بن جلندى الأزديين صاحبي عمان » (٣١) .

والرواية الثانية في أحداث سنة ٥٨ هـ حيث قدم عمرو بن العاص على الرسول ﷺ في المدينة فأعلن اسلامه ، وفي نفس السنة بعثه الرسول ﷺ « الى جيفر وعباد ابني جلندى بعمان ، فصدقنا النبی ، وأقرأ بما جاء به ، وصدق أموالهما وأخذ الجزية من المجوس » (٣٢) .

أما الرواية الثالثة للطبرى فتقول « كان رسول الله ﷺ قد بعث عمرو بن العاص الى جيفر منصرفه من حجة الوداع ، (أى أوائل سنة

(٢٩) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، (تحقيق أكرم ضياء العمرى ، بغداد ١٩٦٧) ج ١ ، ص ٦٢ .

(٣٠) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

(٣١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك (طبعة دار المعارف بالقاهرة) ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٣٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

١١هـ) فمات رسول الله وعمرو بعمان» (٣٣) ويتفق المسعودي (ت ٣٤٦هـ) في كتابه التنبية والاشراف مع الطبري في روايته الأخيرة ، فيروي في أحداث سنة ١١هـ وهي سنة وفاة الرسول ﷺ « فيها كان توجيه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابني الجلندي الأزديين صاحبى عمان يدعوهما الى الاسلام فأسلما » (٣٤) .

هذه أهم وأقدم الروايات التاريخية التي تعرضت لهذه المعلومة ولا يخرج معظم المؤرخين الذين جاءوا بعد ذلك عما سبق عرضه ، ويهمننا من هؤلاء المؤرخين رواية العوتبي الصحاري لأنه أقدم من كتب في هذا الموضوع من أهل عمان — في علمنا — (توفي في القرآن الخامس الهجري) الذي يذكر في روايته اسم حامل رسالة الرسول ﷺ الى أهل عمان عمرو بن العاص فقط ، ولا يذكر أبا زيد الأنصاري ، وفي نفس الوقت لا يحدد تاريخا لقدم عمرو الى عمان (٣٥) ، ولكن روايته تهمنا في مناقشة ما يتعلق بالرسالة النبوية لأهل عمان في الصفحات التالية .

وبعد هذا العرض يمكن مناقشة القضية على النحو التالي : فيما يتعلق بتاريخ بعث الرسول ﷺ لعمرو بن العاص الى عمان فأنى أرجح الأخذ برواية الطبري الأخيرة التي ذكر فيها أن الرسول ﷺ قد بعث عمرو بن العاص الى عمان منصرفا من حجة الوداع (٣٦) والتي يؤيده

(٣٣) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٣٤) المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٢٥٦ .

(٣٥) العوتبي الصحاري ، كتاب الانساب (عمان ١٩٨٤) ج ٢ .

ص ٢٦٠ .

(٣٦) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

فيها المسعودي^(٣٧) وطبقا لهاتين الروايتين يكون الرسول ﷺ قد بعث عمرو الى عمان أوائل سنة ١١هـ أى قبيل وفاته بعدة أشهر والدليل على ذلك :

أنه اذا اعتبرنا تاريخ قدوم عمرو الى عمان سنة ٦هـ مرفوضا لاجماع المصادر على أن عمرو بن العاص قد أسلم في صفر سنة ٨هـ^(٣٨) ومن المستحيل إرساله في هذا التاريخ قبل اسلامه، أما أشهر التواريخ فهو قدومه الى عمان في ذى القعدة سنة ٨هـ فان هناك من الروايات ما يجعل هذا التاريخ مستبعدا .

ففي رواية للواقدي تشير الى أن الرسول ﷺ عندما بعث المصدقين ، أى جامعي الصدقات ، في هلال المحرم سنة ٩هـ « بعث عمرو بن العاص الى فزارة »^(٣٩) كما تشير رواية أخرى الى أن عمرو بن العاص كان مشاركا في غزوة تبوك (رجب — رمضان سنة ٩هـ)^(٤٠) كما أن الرسول ﷺ قد أسند الى عمرو بن العاص بعد ذلك ، صدقات قبائل سعد وعذرة وجذام ، وأنه عندما أرسله الى عمان كانت مهمته هناك مؤقتة بالانتهاء من تبليغ رسالة الرسول ﷺ الى حاكمي عمان والاطمئنان الى استقرار الأوضاع بها ثم العودة الى ما أسند اليه من أعمال ، فيروى الطبرى : « وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص

(٣٧) المسعودي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(٣٨) انظر على سبيل المثال : الواقدي ، كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، اكسفورد ١٩٦٥ ، ج ٢ ، ص ٦٦١ ، ابن سعد ، الطبقات ، ٧م ، قسم ٢ ، ص ١٨٨ ، تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

(٣٩) انظر : الواقدي ، المغازي ، ج ٣ ، ص ٩٧٣ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٠٥٦ .

على عمالة كان رسول الله ﷺ ولاها إياه من صدقات سعد هذيم وعذرة ومن لفها من جذام وحدهس ، قبل ذهابه الى عمان ، فخرج الى عمان وهو على عدة من عمله اذا هو رجع ، فأنجز له ذلك أبو بكر « (٤١) » .

مما سبق يتضح أن عمرو بن العاص قد اسندت اليه بعض الأعمال من قبل الرسول ﷺ وكلها تأتي بعد سنة ٨ هـ ومن المستحيل أن يباشر هذه الأعمال وأن يكون في عمان في نفس الوقت ، مما يرجح ما ذهبنا اليه من أنه وفد على عمان مبعوثا من الرسول ﷺ في أوائل سنة ١١ هـ بعد حجة الوداع .

أما عن شخصية أبي زيد الأنصاري الذي أشار اليه خليفة بن خياط اشارة عابرة ، وذكره البلاذري مشاركا لعمرو بن العاص في حمل الرسالة الى عمان ، ولم تذكره بعد ذلك المصادر الأخرى فأنى أرجح رواية البلاذري الثانية التي تقول أن أبا زيد هذا قد جاء الى عمان سنة ٦ هـ وكان دوره تعليم الناس في عمان أمور الدين الاسلامي والقرآن (٤٢) وفي هذه الحالة فإن أبا زيد لم يكن يحمل رسالة لأن قدومه الى عمان قد يكون استجابة لطلب أحد الوفود العمانية التي سبق أن ذكرناها . وبالتالي فإن رحيله عن عمان كما يشير البلاذري وابن خياط كان قبل قدوم عمرو بن العاص اليها حاملا رسالة الرسول ﷺ (٤٣) .

وفيما يتعلق برسالة الرسول ﷺ الى حاكمي عمان ، فنلاحظ وجود

(٤١) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ .

(٤٢) انظر : ابو عبيد القاسم بن سلام ، كتاب الاموال ، ص ٢٦ ،

الحميري ، الروض ، ص ٤١٣ .

(٤٣) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٦٢ ، البلاذري ، فتوح ،

ص ٩٢ ، ٩٣ .

أكثر من رسالة موجهة الى عمان في العصر النبوي ، أهمها الرسالة الرسمية التي بعثها الرسول ﷺ الى ملكي عمان عبد وجيفر ، وينفرد القلقشندي بذكر نصين لهذه الرسالة : النص الأول أوردته مـظم المصادر ، أما النص الثاني فينتقله عن كتاب الأموال ، ويعتبرهما القلقشندي نصين لرسالة واحدة ، ولأهميتهما في دراستنا ، فسنعرض النصين :

النص الأول : « من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجندى ، سلام على من اتبع الهدى * أما بعد ، فاني أدعوكما بدعاية الاسلام ، أسلما تسلما ، فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما ، وان أبييتما أن تقررا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى في ملككما * وكتب أبى بن كعب » (٤٤) .

ويستطرد القلقشندي فيقول : « وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه كتب اليهما : من محمد رسول الله لعباد الله (أسيد بن ملوك عمان وأسيد عمان) — هكذا — من كان منهم بالبحرين ، انهم ان آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي ﷺ ونسكوا نسك المسلمين ، فانهم آمنون ، وان لهم ما أسلموا عليه . » (٤٥) .

ونلاحظ تحريفا واضحا وقع فيه القلقشندي عند نقله لرواية

(٤٤) انظر : العوتبي ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، (طبع الهيئة العامة للكتاب) ج ٦ ، ص ٢٨٠ ، على برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، بيروت بدون تاريخ ، مجلد ٣ ، ص ٣٠١ ، الساملي ، تحفة ، ص ٣٩ .

(٤٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ .

أبو عبيد فالرسالة عنده موجهة « من محمد رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عمان وأسد عمان . الخ » (٤٦) .

ونحن لا ندري ان خان هذا التحريف قد حدث عن عمد ، حيث أريد لها أن تكون موجهة الى « أسد عمان » لتتفق مع الرواية الأولى فذكرت عبارة « أسيد بن ملوك عمان » بدلا من الأسبذيين ، أو كان التحريف عارضا نتيجة لخطأ في النسخ .

وكيفما كان الأمر فان أبا عبيد يشرح ما أورده في هذه الرسالة من عبارة « عباد الله الأسبذيين » بأنهم سموا بذلك لأنهم نسبوا الى عبادة فرس ، وهو بالفارسية «أسب» فنسبوا اليه ، أما قوله « لعباد الله » يعنى « بنى عبد الله بن دارام » وهم قوم من الفرس (٤٧) . ولكن الجواليقى يصحح بعض المفاهيم التى جاءت عند صاحب الأموال والقلقشندى ، فمن تفسيراته أن أسبذ : اسم قائد من قواد كسرى ، فارسى، وقد تكلمت به العرب وقيل « عبيد أسبذ » وكان يخاطب بهذا عبد القيس ، كما قبل أن أسبذ قرية بالبحرين ، وكان أصل سكانها من قرية بنفس الاسم فى عمان » (٤٨) .

ومن المؤكد أن هناك قبائل من أصل واحد منتشرة فى البحرين وعمان من الأزد وعبد القيس، وربيعه وغيرها . فرواية اليعقوبى توضح ذلك فيقول : « وكان تفرق أهل اليمن فى البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب

(٤٦) انظر النص الأسمى للرسالة بكتاب الاموال ص ٢٦ .

(٤٧) كتاب الاموال ، ص ٢٧ .

(٤٨) انظر : الجواليقى ، المعرب ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة

١٩٦٩ ، ص ٨٦ — ٨٧ .

سيل العرم ، فكان أول من صار منهم الى عمان مالك بن فهم . . بن
الأزد ، وتزوج مالك بامرأة من عبد القيس ، ثم لحق بمالك جماعة من
بطون الأزد منهم : الربيعه وعمران بنو عمرو بن عدى . . فلما صاروا
بعمان انتشروا بالبحرين وهجر « (٤٩) » .

وهكذا يتضح أن الرسالة الثانية كانت موجهة الى العناصر الفارسية
ومن ينصوى تحت قيادتهم من العرب ، فتشير المصادر أن أساورة (٥٠)
الفرس في عهد الرسول ﷺ كانوا منتشرين في مناطق متعددة على ساحل
الخليج ومنها عمان ، وكانوا يحكمون هذه المناطق باسم الدولة الفارسية،
كما تذكر هذه الروايات اسم شخصية عمانية يسمى صاحبها « أبو شداد
الزمارى العماني » الذي يأتي على لسانه أنه قد وصلت الى عمان رقعة
من الرسول ﷺ مكتوبة على الجلد موجهة الى الأساورة ، ولم يجدوا
من يقرؤها لهم ، حتى عثروا على فتى استطاع قراءتها واستمعوا الى
فحواها . فلما سؤل أبو شداد عن من كان على عمان ، قال : أسوار من
أساورة كسرى (٥١) .

ومن المحتمل أن الرسالة التي يتحدث عنها أبو شداد العماني هي
الرسالة الثانية التي أوردتها القلقشندي نقلا عن أبي عبيد ، لأنها مكتوبة

(٤٩) تاريخ اليعقوبى ، ج ١ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٥٠) الأساورة عناصر عسكرية فارسية ، ويقال أن لهم جذورا هندية
كانوا منتشرين في معظم سواحل الخليج قبل الاسلام ، ولما انتشر الاسلام
دخل بعضهم فيه وشاركوا المسلمين في غزواتهم (انظر : الجواليقي ، ص ٦٨ ،
القاضي أطهر مباركيوى ، العرب والهند في عهد الرسالة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ،
ص ٧١ — ٧٢) .

(٥١) انظر : القاضي مباركيورى ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

باللغة العربية وموجهة الى العناصر الفارسية على سواحل عمان مما جعل من الصعب عليهم قراءتها كما أشرنا ، حتى جاء فتى يعرف الفارسية والعربية فأسمعهم ترجمتها ، ويؤكد هذا المعنى العوتبي الصحاري فيقول : أنه عندما صار ملك عمان الى آل الجندى بن المستكبر المعولى، وصار ملك فارس الى آل ساسان كانت المهادنة بينهما ، فكان بعمان طبقا لشروط هذه المهادنة أربعة آلاف من الأساورة والمرازبة مع عامل يكون للفرس بعمان ، وكانت المهادنة تحدد أماكن تواجد الفرس في السواحل وشطوط البحر ، وظل الفرس على حالهم هذا حتى ظهور الاسلام وانتشاره بعمان^(٥٢) مما جعل الرسول ﷺ يوجه اليهم رسالة خاصة بهم الأنهم كيان مستقل له نفوذه وسيطرته على بعض الأراضي العمانية يدعوهم فيها الى الدخول في الاسلام .

ومما يرجح هذا الرأي أن هناك سوابق مماثلة حدثت في البحرين فيروى ابن سعد أن الرسول ﷺ قد أرسل كتابا الى مجوس هجر — وهم الفرس ومن تبعهم بطبيعة الحال — يدعوهم فيها الى الاسلام فان أبوا أخذت منهم الجزية^(٥٣) وكان في نفس الوقت قد أرسل رسالة الى المنذر بن ساوى حاكم البحرين يدعوهم فيها الى الاسلام^(٥٤) والمعروف أن هجر كمدينة كانت عاصمة البحرين ، وأحيانا كان يطلق على البحرين كلها هجر في ذلك الوقت^(٥٥) .

(٥٢) انظر : العوتبي ، الأنساب ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٥٣) ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٩ ، البلاذري ، فتوح ،

ج ١ ، ص ٩٥ .

(٥٤) انظر : أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٦ .

(٥٥) انظر : صفى الدين البغدادى ، مراصد الاطلاع ، تحقيق على

محمد البجاوى ، بيروت ١٩٥٤ ، ج ٣ ، ص ١٤٥٢ .

ويعيدو أن هؤلاء الأسبذيين كانوا منتشرين في البحرين وعمان كما جاء في نص الرسالة ، وأن بعض هؤلاء قد رحل الى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ ليعرفوا منه الوضع الخاص بهم في ظل انتشار الاسلام في المنطقة ، فكان قرار الرسول ﷺ بشأنهم الدخول في الاسلام أو دفع الجزية (٥٦) كما نصت رسالة الرسول ﷺ السابق الاشارة اليها .

ومما تقدم نرجح أن الرسول ﷺ قد بعث برسالتين الى عمان ، الرسالة الأولى الموجهة الى عبد وجيفر ابني الجلندی ملكي عمان وكان يحملها عمرو بن العاص ، أما الرسالة الثانية فكانت موجهة الى الفرس المقيمين بعمان باعتبارهم قوة مستقلة لها رئاستها الخاصة يدعوهم أيضا الى الدخول في الاسلام ، وان كنا لا نعلم تأريخ هذه الرسالة أو حاملها .

وكيفما كان الأمر فانه من المهم بمكان معرفة تأثير رسائل الرسول ﷺ على الذين أرسلت لهم ، ومدى استجابتهم لدعوته لهم الى الدخول في الاسلام .

فالرسالة الأولى كانت موجهة الى عبد وجيفر ابني الجلندی ملكي عمان ، وواضح أنه رغم انتشار الاسلام في عمان وذهاب وفود من القبائل العمانية الى المدينة تعلن اسلامها ، إلا أن حاكمي عمان لم يكونا قد أسلما بعد ، ومن المهم تحديد موقفهما من الاسلام لتأثير هذا على عمان ككل وعلى القبائل التي لم تدخل الاسلام حتى ذلك الوقت .

وأقدم الروايات في هذا الشأن يوردها ابن سعد برواية مسندة لحامل الرسالة عمرو بن العاص ، يفهم منها أن عمرو عندما قدم على عمان أتيح له في البداية مقابلة عبد بن الجلندی الذي أحسن استقبال عمرو لذلك يصفه بأنه « أحلم الرجلين وأسهلها خلقا » ، ولما عرف

(٥٦) الجواليقي ، المعرب ، ص ٨٨ .

عبد المهمة التي جاء لها عمرو أفهمه أنه لا يستطيع أن يتصرف في هذا الأمر الآن أخاه هو المقدم عليه بالسن والملك ، ووعد به بأن يقدمه الى جيفر حتى يقرأ كتابه ، ويفهم من عبارة لعمره بأنه مكث أياما ببابه قبل الاذن له بمقابلته ، وأنه أعطى تلميحا لعبد عن فحوى الرسالة ودعوتهم للدخول في الاسلام وليس تفاصيلها ، وأن هذه الأيام كانت بمثابة مشاورات وتقدير موقف لتحديد الرد المناسب ، ورغم ذلك فالنص يذكر أن عمرو عند لقائه بجيفر سلمه كتاب الرسول ﷺ مختوما ففحص خاتمه وقرأه ثم دفعه الى أخيه فقرأه ، وطلب جيفر من عمرو أن يترك له فرصة يوم ليرد على كتابه^(٥٧) فلما التقى عمر بالأخوين في اليوم التالي ، كان رد جيفر هو رفض الرسالة وقال لعمره : « انى فكرت فيما دعوتنى اليه ، فاذا أنا أضعف العرب اذا ملكت رجلا ما فى بدى »^(٥٨) .

ولاتذكر المصادر العمانية هذا الرفض، ولكن تشير الى أن جيفر قال لعمره أن ما يدعوه اليه فى هذا الكتاب أمر جسيم، وأنه سيتدبر الأمر ثم يعلمه، فعقد مجلسا ضم رؤساء الأزد. كما استدعى « كعب بن زهير برثه » وكان نصرانيا قد سبق أن التقى بالرسول ﷺ فى المدينة وأعلن اسلامه على يديه وعاد الى وطنه عمان^(٥٩) وجرت مشاورات وسأل المجتمعون كعب عن حقيقة أمر النبى ﷺ فأقر بنبوته وأنه سيظهر على العرب، والعجم ، فاستجاب عبد وجيفر ملكى عمان الى الاسلام^(٦٠) .

وهذا يتسق مع رواية ابن سعد على لسان عمرو، السابقة حيث يذكر أنه بعد الرفض السابق ذكره، أعلن عمرو أنه راحل الى المدينة ، فلما تأكد

(٥٧) انظر : ابن سعد ، الطبقات ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٨ .

(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٥٩) انظر التفاصيل ، العوتى ، الانساب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٦٠) انظر : الانساب ، ص ٢٦١ ، قارن : ابن سعد ، المصدر السابق ،

ص ١٨ .

جيفر من رحيله أرسل اليه «فأجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا بالنبى ﷺ وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم» (٦١) .

وواضح أن الفترة الزمنية تلك بين رفض جيفر واسلامه طبقا لرواية ابن سعد هي التي ذكرها العوتبي كفترة استشارة وتدبر من جانب جيفر قبل الاقدام على هذه الخطوة الخطيرة واخضاع ملكه ودولته للإسلام ، ولم يكتف الأخوان بذلك ، بل يروى العوتبي أن جيفر « بعث الى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد ﷺ وأدخلهم في دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها ، فقبضها على الجهة التي أمر بها النبى ﷺ ثم بعث الى مهرة والشحر (٦٢) ونواحيها ، ثم بعث الى دبا وما يليها الى آخر عمان ، فما ورد رسول جيفر الى أحد الا وأسلم وأجاب دعوته » (٦٣) .

وهكذا يفهم من المصادر أن عمان قد أقبلت على الاسلام وأن المناطق الخاضعة لسلطان جيفر قد خضعت لأوامره واستجابت لدعوته من دبا الى مهرة والشحر ، الا أن العناصر الفارسية

(٦١) انظر : ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٦٢) يذكر الاصطخرى أن بلاد مهرة قصبته الشحر ويقال انها من عمان ، أى تابعة لعمان (انظر : كتاب الأقاليم ، بغداد بدون تاريخ) ص ١٤ ، ويذكر النويرى أن وفودا من أهل مهرة والشحر سبق أن وفدت على الرسول ﷺ في المدينة وأعلنوا اسلامهم أمامه وهذا قبل أن تصلهم دعوة جيفر مما سهل مهمة دخولهم في الاسلام (انظر : نهاية الأرب ، ج ١٨ ، ص ١١٧ ، ١١٨) .

(٦٣) انظر : العوتبي ، المصدر السابق ، ص ٦١ ، قارن : قدامه بن جعفر ، كتاب الخراج ، ص ٢٧٦ ، السيرة الحلبية ، مجلد ٣ ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

الموجود على سواحل عمان طبقا للمهادنة التي سبق ذكرها ، والتي أشرنا الى أن الرسول ﷺ قد أرسل اليهم رسالة يدعوهم فيها الى دخول الاسلام ، هذه العناصر رفضت الاستجابة الى دعوة جيفر لهم بدخول الاسلام ويبدو أن جيفر قد وجد الفرصة سانحة أمامه ليتخلص من العناصر الفارسية التي تسيطر على أجزاء من سواحل عمان ، فالتقى جيفر بزعماء الفرس في عمان وخبرهم بين أمرين : الدخول في الاسلام أو الرحيل عن عمان (٦٤) ولكن الفرس رفضوا كلا الخيارين ، فكان الصدام العسكري أمرا حتميا في هذه الظروف اذا صمم الطرفان على موقفهما ، ويبدو أن جيفر كان مؤيدا من جانب أعداد كثيرة من أهل عمان ، الذين وجدوا الفرصة سانحة للتخلص من نفوذ الفرس في بلادهم ، فيروى العوتبي « واجتمعت الأزد الى جيفر بن الجلندي • وقالوا : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم » (٦٥) •

وواضح أن الفرس لم يستطيعوا ادراك الروح الجديدة التي دبت في القبائل العمانية بعد دخولها في الاسلام الذي ألف بينهم تحت راية واحدة وقيادة واحدة ، فاستعد الجانبان للقتال ، ودارت معركة عنيفة بين الأزد والفرس بالقرب من صحار انهزم فيها الفرس وحوصروا بعد الهزيمة في حصن لهم يسمى دستجرد قرب صحار ، و طال حصارهم وأيقنوا الهزيمة ، فطلبوا الصلح من العمانيين الذين استجابوا لهم ولكن بشروط المنتصر الذي يملئ رغبته فيذعن لها المهزومين وكانت الشروط أن يخرج الفرس من عمان بأهلهم ومن تبعهم ، وأن يتركوا كل

(٦٤) انظر : العوتبي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ، السالمى ، تحفة

الاعيان ص ٤٠ •

(٦٥) العوتبي ، نفسه ، ٢٦١ ، السالمى ، تحفة ، ص ٤٠ •

ما يملكون من سلاح وكراع وأموال^(٦٦) فأذعن الفرس لهذه الشروط
انقذا الأرواح من تبقى منهم بعد أن قتل في المعركة عدد كبير منهم
وعلى رأسهم عامل الفرس على عمان^(٦٧) .

وهكذا تمكن العمانيون باتحادهم تحت راية الاسلام من القضاء على
نفوذ الفرس في بلادهم وأصبحت بلادهم خالصة لهم لا يشاركونهم في
خيرها عناصر أجنبية ، ويعتقد ولكسن أنه « كان من أشد ما جذب عرب
عمان الى الاسلام أنه أتاح لهم أن يتخلصوا من الحكم الفارسي وأن
يملكوا البلاد بقراها الغنية وأن يجنوا ثمرات التجارة البحرية »^(٦٨)
وهذه العبارة لا تستقيم بهذا الشكل ، لأنه جعل العمانيين يدركون مسبقا
نقائج دخولهم في الاسلام ، وجعل من النتيجة سببا .

وأصبحت عمان منذ ذلك الوقت جزءا من الدولة الاسلامية الناشئة،
وكانت قيادة الحكم في عمان في يد الأخوين عبد وجيفر طبقا لوعده
الرسول لهما في كتابه اليهما حيث قال : « انكما ان أقررتما بالاسلام
وليتركما ، وان أبيتما أن تقررا فان ملككما زائل عنكما »^(٦٩) ، فكان على
عمان عند وفاة رسول الله ﷺ عبد وجيفر ابنا الجلندي^(٧٠) وكان هناك
تعاوننا وثيقا بين الأخوين وبين عمرو بن العاص في هذه الفترة ، فيروي

(٦٦) انظر : السامى ، تحفة ، ص ٤٠ — ٤١ .

(٦٧) الدوتبي ، الأنساب ، ص ٢٦٥ ، الازكوى ، المرجع السابق

ص ٣٨ .

(٦٨) انظر : ج.س. ولكسن ، بنو الجلندي في عمان (طبع وزاره

التراث في عمان ، اكتوبر ١٩٨٢) ، ص ١٢ .

(٦٩) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ .

(٧٠) انظر : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، الحميري ، الروض ،

ص ٤١٣ .

عمرو أنه بعد أن دخل الأخوان في الإسلام وصدقوا بالنبى ﷺ « خليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عوننا على من خالفنى ، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها فى فقرائهم ، فلم أزل مقيما فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله ﷺ » (٧١) •

وواضح أن التعاون بين عبد وجيفر وبين عمرو بن العاص جعل الأحوال مستقرة فى عمان ، وهذا الاستقرار يمكن استنتاجه من الأحداث المهمة والخطيرة التى أعقبت وفاة الرسول ﷺ •

(٧١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٨ •

الفصل الثاني

عمان والخلافة الراشدة

اضطربت شبه الجزيرة العربية من أقصاها الى أدناها في أعقاب وفاة الرسول ﷺ وتشير المصادر الى أن عمرو بن العاص عندما وصله نبأ وفاة الرسول ﷺ ، قرر الحودة الى المدينة ، ونحن لا ندري سببا مؤكدا لهذه الرغبة من جانب عمرو في هذا الوقت بالذات ، وهل جاءه استدعاء من المدينة ، أم غادر عمان من تلقاء نفسه ، ليس في المصادر ما يجيب عن هذه التساؤلات ، ولكن ما يؤكد هذا التحرك من جانب عمرو هو أن الأحوال في عمان كانت مستقرة — في هذه الفترة على الأقل — ، وأن عمرو كان مطمئنا على حسن ادارة الأخوين عبد وجيفر وتمسكهما بالاسلام .

وهناك اشارة في الطبرى توحى بأن عمرو ربما عاد الى المدينة ليقولى بعض الأعمال التى كان أمه ندها اليه الرسول ﷺ قبل بعثه الى عمان ، على وعد بأن يعود اليها بعد انجاز مهمته فيها ، فاستجاب أبو بكر لذلك^(١) ، وربما احتاجه أبو بكر للتصدى للمخاطر التى كانت نذرها تخيم

(١) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ .

على المدينة آنذاك (٢) .

وكيفما كان الأمر ، فما كاد عمرو بن العاص يعلن عن رغبته في مغادرة عمان ، حتى جهز العمانيون وفدا لمصاحبته ضم حوالى سبعين فارسا على رأسهم بعض زعماء عمان منهم عبد بن الجلندى وأبو صفرة (٣) والد المهلب ، وكان هذا الوفد في حقيقته خفارة لعمرو بن العاص خوفا عليه من مخاطر الرحلة من عمان الى المدينة في هذه الظروف التي شاع فيها الاضطراب والتمرد بين القبائل ، وكان عمرو بن العاص شخصية معروفة لدى زعماء القبائل الذين أحسنوا استقباله والوفد المرافق له خلال رحلته ، فمر في طريقه بالبحرين والتقى بالمنذر بن ساوى وهو على فراش الموت ، فاستشاره المنذر ماذا يفعل بثروته قبيل وفاته فأشار عليه عمرو بأن يتصدق بصدقة تجري من بعده ، فاستجاب المنذر لنصيحته (٤) ، ثم خرج من عنده فسار في مضارب بنى تميم ، ومنها الى بلاد بنى عامر ، فاستقبله قرة بن هيرة القشيري ، ورغم أن قرة ومن معه من بنى عامر كانوا على وشك الخروج على الاسلام أو حسب رواية الطبرى « وقرة يقدم رجلا ويؤخر رجلا ، وعلى ذلك بنى عامر كلهم » (٥) الا أن قرة أحسن استقبال عمرو بن العاص ، فأكرمه وأبره (٦) واقترح عليه قرة أن يتنازل أبو بكر عن مطالبة القبائل بالزكاة وقال « فان أنتم

(٢) المعروف أن عمرو بن العاص كان أحد القواد الذين جهزهم أبو بكر لقتال أهل الردة (انظر : النويرى ، المصدر السابق ، ج ١٩ ، ص ٦٤) .
 (٣) انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٩ (تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٢) ، السالى ، تحفة ، ص ٤٣ .
 (٤) انظر : الطبرى ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، ص ٣٠٢ ، انظر أيضا : السالى ، تحفة ، ص ٤٤ - ٤٦ .

(٥) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٦) انظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١١٦ .

أعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع ، وإن أبستم فلا أرى أن تجتمع عليكم ، فقال عمرو : أكفرت بيلقرة. »^(٧) وحدثت بين عمرو وقرة مشادة انتهت بتهديد عمرو له بأن يدخل عليه بجيوش المسلمين في عقر داره ، وتظهر هنا أهمية الخفارة العمانية التي كانت. تصاحب عمرو ، والتي جعلت قرة لا يفكر في الانتقام من عمرو وهو في دياره وبين رجاله^(٨) وعندما وصل عمرو بن العاص إلى المدينة طاف به الناس يسألونه عما وراءه من أخبار ، فأخبرهم بالضرائب القبائل وتمرداتها^(٩) والتقى الوفد العماني المصاحب لعمرو بن العاص بالخليفة أبي بكر ، وتحدث أبو صفرة عن العمانيين ، فتقدم عمرو بن العاص إلى الخليفة ، وقال : « هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها إليك . فقال أبو بكر : جزاكم الله خيرا »^(١٠) وأثنى أبو بكر والمسلمون على العمانيين لموقفهم المؤيد للإسلام في هذه الظروف المضطربة التي تمر بها الدولة الإسلامية^(١١) .

(٧). تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٨) لما وقع قرة في الأسر على يد خالد بن الوليد ، ووقف بين يدي أبي بكر في المدينة ، أنكر أنه ارتد عن الإسلام ، واستشهد على ذلك بحسن معاملته لعمرو بن العاص عند قدومه عليه من عمان ، وطلب شهادة عمرو الذي قال الحقيقة فعفا عنه الخليفة (تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣٦٠) .

(٩) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني (طبعة الهيئة العامة للكتاب)

ج ٢ ، ص ٧٦ ، السامري ، تحفة ، ص ٤٣ .

(١١) انظر التلخيص : السامري ، تحفة ، ص ٤٣ — ٤٤ .

أحداث الردة في دبا

ارتدت معظم القبائل العربية عن الاسلام في أعقاب وفاة الرسول ﷺ ، ورغم المبالغة في أن يقال « ارتدت العرب كلها الا قريشا وثقيفا » (١٢) فان حركة الردة شملت معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، واذا نحينا جانبا حركة التنبؤ بين زعماء بعض القبائل والتي ترجع الى فترة النبوة ، نجد السبب الأساسي لردة العرب هو الاعتراض على دفع الزكاة ، فنتيجة لعدم التعمق في فهم تعاليم الاسلام ، اعتبرت القبائل التي ارتدت أن الزكاة التاوة تنقص من سيادتهم (١٣) وجاءت وفود العرب للقاء الخليفة الأول أبي بكر الصديق « يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة، فلم يقبل هذا منهم » (١٤) .

وهذا الموقف في حقيقة الأمر يوضح أهمية الوفد العماني الذي صحب عمرو بن العاص في رحلته الى المدينة ، فبالإضافة الى مهمته في تسليم عمرو سالما ، فانه أعلن تأييده ومبايعته للخلافة الاسلامية ، ويقال أن أبا بكر استنهض عبد بن الجندى لمقاتلة آل جفنه وهم عناصر من الغساسنة في الشام فاستجاب عبد لذلك وقام بالمهمة على أفضل وجه (١٥) . ففي الوقت الذي كانت بعض القبائل تسالوم فيه حول فروض الاسلام ، ترضى بهذا وتترك ذاك ، كان الوفد العماني في المدينة يقف بجانب الخلافة ويعلن تأييده لها ويشترك في الدفاع عنها ، وفي رأينا أن هذا الوفد يغير كثيرا من المفاهيم الخاطئة التي قيلت عن ردة عمان أو ردة دبا كمان جاء في المصادر . ولتحليل هذا

(١٢) انظر : النويري ، المصدر السابق ، ج ١٩ ، ص ٦١ .

(١٣) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٤) النويري ، المصدر السابق .

(١٥) انظر : التفاصيل ، السالمى ، تحفة ، ص ٤٤ .

الخبر والبحث عن الحقيقة ، فاننا سنتبع المنهج الذى بدأناه فى بحثنا هذا باستعراض المصادر وتحليلها قبل الوصول الى رأى محدد .

وأقدم الروايات ما ذكره ابن سعد^(١٦) عن ردة أهل دبا ، ورغم ما فى روايته من بعض الغموض فى الأسماء والأحداث ، الا أنه قد قصر حركة الردة على « أهل دبا » ولم ينسبها الى كل عمان كما ذكرت بعض المصادر ، ودبا فى تصوره تقع « فيما بين عمان والبحرين » وكان أهلها قد أسلموا وذهب وفد منهم الى الرسول ﷺ بالمدينة ، مقرين بالاسلام ، فبعث عليهم من يأخذ صدقات أموالهم ويردها على فقرائهم ، ويذكر اسم « حذيفة بن اليمان الأزدي »^(١٧) على أنه مبعوث للرسول ﷺ اليهم ، وأعتقد أن ابن سعد قد اخطأ عليه الأمر ، ولعله يقصد حذيفة بن محصن الغلفانى الذى يجرى ذكره بعد ذلك منسوباً لدبا ، فحذيفة بن اليمان لم يكن أزدياً بل ينسب الى عبس بن بغيض بن تريت بن غطفان ابن قيس عيلان ، بطن من مضر »^(١٨) والغريب أن ابن سعد نفسه يترجم فى نفس المصدر لحذيفة بن اليمان الصحابى المشهور الذى شهد مع الرسول ﷺ معظم الغزوات ، ولم يذكر أنه كان عاملاً للرسول على دبا أو شارك فى معارك الردة فى دبا^(١٩) .

(١٦) رغم أن خليفة بن خياط أقدم زمنياً من ابن سعد ، الا انه يذكر عبارة مقتضبة عن هذه الحادثة فيقول : « وبعث أبو بكر عكرمة بن أبى جهل الى عمان » بدون أى تفاصيل : انظر ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(١٧) انظر : ابن سعد ، الطبقات ، م ٥ ، قسم ٢ ، ص ٣٨٥ .

(١٨) انظر : الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ، وعن نسب حذيفة بن اليمان انظر أيضاً : ابن قتيبة ، المعارف ، (تحقيق ثروت مكاينة ، القاهرة ١٩٦٩) ، ص ٢٦٣ .

(١٩) يذكر ابن سعد فى ترجمته لحذيفة هو : ابن حسيل بن جابر بن

ويكمل ابن سعد روايته التي فوجزها في أنه في أعقاب وثاق الرسول ﷺ ارتدت أهل دبا ومنعوا الصدقة ، فكتب « حذيفة » إلى أبي بكر بذلك ، فوجه اليهم عكرمة بن أبي جهل الذي حاربهم وهزمهم ، فلجأوا إلى حصن دبا فتحصنوا فيه وحاصروهم المسلمون حتى أجهدهم الحصار ، وطلبوا الصلح ، ثم نزلوا على حكم حذيفة الذي أمر بقتل مائة من أشrafهم وسبى ذراريهم وبعث إلى أبي بكر في المدينة ، وهم أبو بكر بقتلهم باعتبارهم مرتدين عن الإسلام ، لولا أن تدخل عمر بن الخطاب وقال له : « يا خليفة رسول الله ، قوم انما شحوا على أموالهم » (٢٠) فأمر أبو بكر بحبسهم ، وبعد وفاة أبي بكر أطلق عمر سراح هؤلاء الأسرى وقال لهم : « قد أفضى إلى هذا الأمر ، فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم فأنتم قوم أحرار لا فدية عليكم » (٢١) .

أما الرواية الثانية فيرويها الطبري ومن أخذ عنه وتتلخص في أنه غلب على عمان مرتد « ذو القاج » لقيط بن مالك (٢٢) الأزدي ، وكان

ربيعة ، وهو اليان بن الحارث بن قطعة بن عيسى ، لم يشهد بحرا ، وشهد أحد والخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع الرسول ﷺ واستعمله عمر بن الخطاب على المدائن ومات سنة ٣٦ هـ (انظر: الطبقات ، ٧ ، قسم ١ ، ص ٦٤) .

(٢٠) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢١) ابن سعد ، نفس المصدر والصفحة .

(٢٢) يسميه ابن حزم « زيد الأعور بن جيفر بن الجلندي المذكور » وكان قد سبق وذكر جيفر وعبد ابنا الجلندي ملكا عمان ، فهل لقيط هذا أو زيد الأعور كان أحد أبناء الجلندي وانشق على والده ، لو صح هذا لكانت أحداث الردة تحوى في جوهرها ثورة أسرية الهدف منها الاستحواذ على السلطة في عمان (انظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، (القاهرة ١٩٨٢) ، ص ٣٨٤) .

يسمى في الجاهلية « الجلفدى » وادعى النبوة (٢٣) ويبدو أن ملكى عمان عبد وجيفر قد حاولا الوقوف في وجهه والتصدي لحركته ، ولكنه تمكن من الانتصار عليهما مما اضطرهما الى الاحتماء بالجبال والشطوط البعيدة ، واضطر الأخوان أمام هذا الخطر على نفوذهما وملكهما أن يستنجدا بالخلافة الراشدة في المدينة ، فبعث جيفر الى أبى بكر يخبره بحقيقة الوضع في عمان ، وطلب منه ارسال جيش للمساعدة في القضاء على ثورة لقيط بن مالك ، فأرسل أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن الغلفانى وعرفجه البارقى من الأزرد على أن يبتدئا بعمان ثم مهرة وأن يسارعا الى عمان فاذا اقتربا منها كاتبا الأخوين جيفر وعبد « وعملا برأيهما » (٢٤) .

ولم يكتف أبو بكر بذلك ، ولكن عندما بلغه خبر هزيمة عكرمة بن أبى جهل على يد مسيلمة الكذاب باليمامة ، كتب اليه يعنفه على تسرعه ، وأمره أن يلحق بعمان ليساعد حذيفة وعرفجة في مهمتهما هناك (٢٥) ، والتقت الجيوش الاسلامية قبل الوصول الى عمان ، وراسلوا جيفرا وعبدا حسب تعليمات الخليفة ، فتحرك الأخوان بأعوانهما الى صحار حيث التقوا بجيوش الخلافة . ويبدو من عبارات الطبرى أنهم أقاموا فترة في صحار نظموا فيها صفوفهم ، وأمنوا جيوشهم ، وأيقنوا من ولاء القبائل القريبة منهم ، وعملوا على شق صفوف غريمهم « لقيط

(٢٣) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٢٤) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، م ٥ ، ص ٣٧٢ .

(٢٥) الطبرى ، نفسه ، ص ٣١٥ ، ابن كثير ، نفسه .

ابن مالك « » وكانتبوا رؤساء مع لقيط وبدعوا بسيد بنى جديد^(٢٦)
فكانتبههم وكانتبوه حتى ارفضوا عنه «^(٢٧) » .

تحركت الجيوش الاسلامية المكونة من جيش الخلافة بالاضافة الى ما تحت يد الأخوين جيفر وعبد من أعوان في اتجاه دبا ، ولم يذكر الطبرى عدد هذه الجيوش ، ولكن يتضح من الرواية أن لقيطا كان قد استعد لهذا اللقاء وحشد جيشا قويا واتبع الحيلة المعروفة لدى العرب بأن جمع الأطفال والنساء في مؤخرة جيشه ليحمس المقاتلين على عدم التراجع ، ونشبت بين الجانبين معركة قوية كاد أن يهزم فيها المسلمون «وقد رأى المسلمون الخلل ، ورأى المشركون الظفر»^(٢٨) لولا أن انضمت الى صفوف المسلمين عناصر من القبائل التى كانت على اسلامها من بنى ناجية وعبد القيس وأهل عمان ، فانقلب الحال وحلت الهزيمة بجيش لقيط وقتل من رجاله في المعركة عشرة آلاف ، وسبى الذرارى وقسمت الأموال على المسلمين الذين استولوا على سوق دبا غنيمة .

اتفق المنتصرون على أن يبقى حذيفة بن محصن في دبا لتهدئة أهلها ، وأسكن القبائل التى أيدت الجيش الاسلامى في المناطق التى أفاء الله بها على المسلمين « ولما فرغ عكرمة وعرفجة وحذيفة من (ردة عمان) ، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة ، واستنصر من حول عمان وأهل عمان ، وسار حتى يأتى مهرة ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس

(٢٦) منسوب الى الجديدة ، قبيلة من خولان (الهمدانى ، مجلة ،

ص ٣٧) .

(٢٧) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٢٨) المصدر السابق .

وراسب ، وسعد من بنى تميم ، بشر ، حتى اقتحم على مهرة
بلادها » (٢٩) .

هذا مجمل رواية الطبرى ، أما رواية قدامة بن جعفر فهي تتناقض
في شقها الثانى مع تسلسل الأحداث كما جاء في الطبرى حيث يذكر قدامة
أن الردة كانت من جانب « قبائل الأزد » في دبا بقيادة « ذو القناج »
لقيط بن مالك ، وبعد أن قضى عليها المسلمون ، يقول : « وارتدت طوائف
من أهل عمان ولحقوا بالشحر ففسار اليهم عكرمة فظفر بهم » (٣٠) .

وهذا يتنافى مع رواية الطبرى السابقة عن مشاركة قبائل عمان
في جيش عكرمة المتوجه الى مهرة والشحر ، ولكن من المحتمل أن عناصر
من المنهزمين في معركة دبا قد لجأوا الى الشحر ، فالطبرى يذكر في سياق
روايته للمعركة « فولى المشركون الأدبار » (٣١) مما يجعل احتمال فرار
هؤلاء الى الشحر قائما ، ولكن يظل في النهاية عدم الدقة في تحديد
المسميات لدى هذه المصادر قائما ، أهى ردة في دبا أم ردة أهل عمان .
وسوف نناقش هذا فيما بعد .

أما عن أهم الروايات حول هذا الموضوع بعدما سبق استعراضه
فقد جاءت في معجم البلدان لياقوت ، فبعد التعريف بدبا وبسوقها
المشهور يذكر هذه العبارة الغريبة « فتحتها المسلمون في أيام أبى بكر
الصدى سنة ١١١ هـ ، وأميرهم حذيفة بن محسن فقتل وسبى » (٣٢) ونحن

(٢٩) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣١٦ ، النويرى ، نهاية الأرب ،

ج ١٩ ، ص ١٠٤ .

(٣٠) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٢٧٧ .

(٣١) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .

(٣٢) انظر : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .

لا ندرى من أين استقى الحموى هذه الرواية ، وماذا يقصد بالفتح ، وهل المقصود إعادة دبا الى كنف الخلافة الاسلامية ؟

ومن الجدير بالاهتمام أن ياقوت ينقل رواية أخرى عن ردة أهل دبا منسوبة الى الواقدي. لا تختلف كثيرا عن رواية ابن سعد، غير أنه لا يقع في خطأ ابن سعد حول اسم الوالى على دبا، فيقول أنه في حياة الرسول كان على صدقات دبا حذيفة بن محسن ، فكان يأخذ صدقات أغنيائهم فيردها الى فقرائهم ، فلما مات الرسول ارتدوا ولم يستجيبوا لدعوة حذيفة بالطاعة. وأسمعه شتما لرسول الله ﷺ. وأبى بكر ، فكتب حذيفة الى أبى بكر بالأمر ، فوجه لقتالهم. عكرمة بن أبى جهل^(٣٢) ولا يأتى ذكر الأخوين عبد وجيفر ودورهما في ردة دبا ، ولكن يذكر الحرب بين عكرمة وأهل دبا بقيادة لقيط بن مالك الأزدي الذى هزم واضطر الى الاحتماء بحصن دبا ، وحاصره المسلمون شهرا ، فسألوا حذيفة الصلح ، فاشترب عليهم حذيفة الخروج من الحصن بدون سلاح ، وبعد أن استولى المسلمون على المدينة حكم فيهم حذيفة بقتل أشrafهم وسبى ذرائعهم ، فقتل من أشrafهم مائة رجل ، وقدم حذيفة بسبيهم الى المدينة فاختلف المسلمون بشأنهم ، فأراد أبو بكر قتل من بقى من المقاتلة ويستمر في الرواية مثل ابن سعد حتى اطلاق سراح الأسرى في خلافة عمر بن الخطاب ، ولكنه يقول : « وأقام عكرمة بدبا عاملا لأبى بكر »^(٣٤) ويمكن ملاحظة اختلاف هذه الرواية عما أورده الطبرى ، ولو أنها قريبة الى حد بعيد من رواية ابن سعد .

(٣٣) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٣٤) انظر : ياقوت ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

وهكذا، ذكرت المصادر بالاجماع أن ردة قد حدثت في دبا وفي الشحر ، وطبقا للروايات التاريخية والمعلومات الجغرافية فإن دبا والشحر^(٣٥) كانا من توابع عمان^(٣٦) مما دفع بعض المؤرخين الى إطلاق ردة الجزء على الكل فقول « ردة عمان » ، فلا يمكن انكار أن أجزاء من عمان قد حدث بها تمرد أو ردة مما دفع الجيوش الاسلامية الى التصدي لها والقضاء عليها ، وهذا ما يحولل المؤرخون العمانيون تظاهراته أو نفية تماما ، وسألخص هنا وجهة نظرهم طبقا لرواية السالمى في تحفة الأعيان .

يرى السالمى أن الأمر لا يعدو أن يكن سوء تقدير حدث من جباة الصدقات في دبا أثناء تعاملهم مع امرأة من هذه المدينة أجبروها أن تؤدى ما عليها من زكاة ، فاستصرخت قومها آل مالك ، فظن حذيفة بن محصن أنها دعوة جاهلية وأن القوم ارتدوا عن الاسلام ، فأغار عليهم وأخذ منهم سبيا فمضى بهم الى المدينة ، فوجد على أبى بكر وفدا من أهل دبا شرحوا له مشكلتهم مع حذيفة ، وأنهم على اسلامهم لم يجاهروا بالردة أو امتنعوا عن الزكاة ، فخيرهم أبو بكر بين السبى والأموال ، وفي رواية أخرى أن الوفد وصل المدينة وقد توفي أبو بكر ، فاستجاب خليفته عمر لأهل دبا وأمر ببرد السبى . وينهى السالمى روايته بقوله

(٣٥) انظر : الاضطخري ، كتاب الاقاليم ، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ) ص ١٤ الذى يذكر أن بلاد مهرة قصبته الشحر ويقال انها من عمان .

(٣٦) يتضح هذا مما سبق ذكره من ارسال جيفر مبعوثين الى مهرة والشحر ودبا يدعو أهلها الى الاسلام فاستجابوا لدعوته ، مما يوحى بتبعية هذه الجهات لعمان في ذلك الوقت (انظر : الازكوى ، المرجع السابق ، ص ٩٨) كما ينسب الحميرى الشحر الى عمان فيقول « شحر عمان » (انظر : الروض ، ص ٣٨٨) .

« هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية ، وهم أعرف بحالهم ، وبما عليه أوائلهم ، ولا يصح ما ذكره ابن الأثير في كامله » (٣٧) .

وواضح أن السالمى لم يطلع إلا على رواية ابن الأثير في الكامل، ويكتفى بعد هذا النفي بذكرها ، ونحن لم نذكرها إلا أنها منقولة عن رواية الطبرى التى سبق أن ذكرناها ، وبعد أن ينتهى السالمى من رواية ابن الأثير يقول : « انتهى كلام ابن الأثير وكله باطل لا أصل له » (٣٨) .

ولو نظرنا لهذه الأحداث مجتمعة حسب الروايات السابقة ، نظرة محايدة ، فانه من المؤكد أن تمردا أو ردة قد حدثت في دبا بعد وفاة الرسول ﷺ وكان يقود هذا التمرد شخصية لها وزنها بين القبائل في بلدته وهو ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ومن المحتمل أنه كان من أسرة الجلفدى ، فابن حزم يشير الى أنه أحد أبناء جيفر بن الجلفدى (٣٩)، ويبدو أن لقيط كانت له طموحات سياسية ورأى في رفض دفع الزكاة وادعائه النبوة ما يجعل بعض القبائل تعضده وتؤيده ضد الأخوين عبد وجيفر مما يمكنه من اقتصائهم والسيطرة على عمان ، لذلك كان من الطبيعى أن يتصدى عبد وجيفر لهذا الخطر ويدافعا عن ملكهما .

ويحاول أحد الباحثين أن يبرر ثورة أهل دبا بسبب « أن يدهم لم تكن مطلقة في استغلال الأرض التى تركها الفرس ، بل أن عاملا جاء من المدينة ليضمن أن لا يفعلوا ذلك ، ثم تبين لهم أيضا أن عليهم

(٣٧) السالمى ، تحفة ، ص ٥٠ ، انظر تفاصيل رواية السالمى

ص ٤٨ — ٥٠ .

(٣٨) السالمى ، تحفة ، ص ٥١ .

(٣٩) انظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٣٨٤ .

أن يدفعوا ضرائب يجبيها في أوقاتها مضمونون يعينهم العامل» (٤٠) ونحن لا نعلم من أين استقى الباحث هذه المعلومات الخطيرة عن الأرض التي منع أهلها من استغلالها ، فهذا تخريج بعيد تماما عن سياسة المسلمين حتى مع أهل البلاد التي فتحت عنوة فلا يمنع أهلها من استغلالها ، أما عن الضرائب التي يذكرها فلعله يقصد الزكاة لأن المسلمين لم يفرضوا ضرائب في ذلك الوقت ، وكانت التعليمات أن يأخذ عامل الرسول ﷺ الصدقات من أغنياء دبا ويردها على فقرائهم (٤١) .

وتجدر الملاحظة بأن المؤرخين الذين ذكروا حادثة الردة في دبا على أنها « ردة عمان » قد وقعوا في مبالغة لا أساس لها من الصحة ، لأن الردة لم تقع في كل عمان كما حددها الجغرافيون في ذلك الوقت . كما أن هذه الردة لم يقم بها حاكمي عمان المعترف بهما من جانب الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق وأقصد بهما « عبد وجيفر » بل جاءت من جانب شخص لم تذكره المصادر الا مقترنا بهذه الحادثة ، ويطلق عليه البعض « ذو القاج » (٤٢) ويبدو أنه قد اتخذ لنفسه تاجا متشعبا بالملوك ، وهذا ليس من حقه مما جعل المؤرخون يلقبونه بهذا اللقب ، فهو شخص مدع للنبوذة ومدع لحقه في السلطة في نفس الوقت .

أما الموقف الرسمي للملكي عمان عبد وجيفر فكان معارضا لهذا التمرد لتمسكهما بالاسلام من جهة ، ولأنها حركة موجهة ضد نفوذهما من جهة أخرى ، لذلك تصدا بما تحت أيديهما من جيوش لهذه الحركة

(٤٠) انظر : ولكسن ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٤١) انظر : طبقات ابن سعد ، م ٥ ، قسم ٢ ، ص ٣٨٥ ، ياقوت ،

معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٤٢) انظر : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، تاريخ الطبرى ، ج ٣ ،

ص ٣١٤ .

منذ البداية ، ودخلا في معارك عنيفة مع قوات لقيط-بن مالك ، ولكنهما لم يصمدا أما الحشود التي حشدتها لقيط مما اضطرهما الى التراجع الى حين كما جاء في نص الطبري « غلب لقيط بن مالك على عمان مرتدا ، وألجأ جيفرا وعبادا الى الأجبال والبحر » (٤٣) .

ولما كانت هذه الحركة ليست حربا قبلية فلم تلجأ السلطة الشرعية في عمان لمساندة القبائل المحيطة بها ، بل هي حركة ذات طابع ديني سياسي ، ولما كانت عمان باعلانها الاسلام بعد تلقيها رسالة الرسول ﷺ ، وبتأييدها للخليفة الأول أبي بكر الصديق عن طريق الوفد الذي صاحب عمرو بن العاص الى المدينة ، قد أصبحت جزءا من الدولة الاسلامية الناشئة تؤيدها وتساندها ، وعلى الدولة الاسلامية أيضا أن تمنع عنها الخطر الذي يهدد وحدتها واسلامها ، لذلك كان من المنطقي أن تلجأ السلطة الشرعية في عمان ممثلة في الأخوين عبد وجيفر الى عاصمة الخلافة الاسلامية ، تستجد بأبي بكر للمساعدة في القضاء على حركة التمرد على الاسلام ولتحقيق سلطانهم ونفوذهم على عمان .

وتتضح المكانة التي كانت تتمتع بها السلطة الشرعية في عمان لدى الخلافة الاسلامية من الأوامر الصريحة التي زود بها أبو بكر الصديق الجيوش المتوجهة الى عمان لمساعدتها ضد أعدائها وأعداء الاسلام ، فكان على هذه الجيوش اذا اقتربت من عمان أن يكتبا عبدا وجيفرا ، وأن يعملا برأيهما (٤٤) وهذه الأوامر في اعتقادي لها دلالات أخرى مهمة ، فبالإضافة الى الثقة في السلطة الشرعية في عمان فإنها تعني أن القيادة على أرض عمان كانت للأخوين عبد وجيفر فهم أكثر دراية بظروف

(٤٣) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٤٤) انظر : تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

بلادهما الطبيعية ومسالكها وأكثر معرفة بالتيارات القبلية التي يمكن أن تؤثر سلبا وإيجابا على سير المعركة ، لذلك لما اجتمعت الجيوش الإسلامية في صحار مع الجيش العماني ، جرت مشاورات مع القبائل بهدف كسب تأييدها وحتى لا يطعن الجيش عند توجيهه إلى دبا في الظهر، وأعتقد أن الأقدار على إدارة هذه المرحلة من التفاوض القبلي هما الأخوين عبد وجيفر ولم يكتفيا بذلك ، بل حدثت اتصالات مع عناصر قبلية مؤيدة للثورة وتعمل مع لقيط بن مالك ونجحت المفاوضات معها حسب رواية الطبري في الاتفاق على أن ينسحب بعضها من تأييده للقيط بعد مكاتبات جرت بين الجانبين^(٤٥) .

وأعتقد أن تأييد القبائل للجيش الإسلامي عندما كاد لقيط أن ينتصر في بداية المعركة في دبا لم يكن تأييدا عفويا ، بل كان أمرا متفقا عليه نتيجة للاتصالات التي سبق الإشارة إليها فأيدت القبائل العربية من بني ناجية والأزد وعبد القيس وغيرها الجيوش الإسلامية وتصدت لقوات لقيط الذي انتهى الأمر بهزيمته لتخرج عناصر من هذه القبائل بعد ذلك مع عكرمة بن أبي جهل لتواصل معارك القضاء على الردة في مناطق مهرة والشحر .

ومما تقدم يمكن القول أن ما حدث لا يمكن أن نطلق عليه « ردة عمان » أو « ردة أهل عمان » وبهذا نتفق مع المؤرخين العمانيين لنفيهم لهذه الردة بوجه عام ، ولكننا لا ننفي الأحداث التي وقعت في دبا وغيرها سواء كان هذا بسبب امرأة استغاثت بقومها أم بسبب تمرد قتاده لقيط بن مالك ، لأنه لا يمكننا أن نرفض كل ما تذكره المصادر التاريخية

(٤٥) انظر : تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

في حادثة بعينها ، أو نختار منها ما يوافق هوانا ونترك ما دون ذلك ،
الآن معنى هذا أننا نثير الشك حول مصادر تاريخنا الاسلامي .

عمان وحركة الفتوحات الاسلامية

ظلت عمان على علاقة طيبة بالخلافة الراشدة منذ وفاة الرسول ﷺ ووصول عمرو بن العاص مع الوفد العماني الى المدينة وقد أفاضت المصادر العمانية في ذكر الحفاوة التي استقبل بها الوفد العماني من جانب الخليفة الأول أبو بكر الصديق ، وما قام به خطباء المسلمين من الثناء على عمان وأهلها لاسلامهم طوعا واستجابتهم الى دعوة الاسلام دون مشقة وتعاونهم مع عمرو بن العاص (٤٦) كما يقال أن أبا بكر أسند الى عبد بن الجندى لما قدم عليه من عمان قيادة سرية الى آل جفنة من عرب الشام لمقاتلتهم ، وقد شارك في هذه السرية عدد من الصحابة منهم حسان بن ثابت الأنصاري الذي أشاد — بعد عودة السرية — بشجاعة عبد وحزمه وحسن رأيه في المواقف الصعبة (٤٧) .

وشارك العمانيون كما أسلفنا في القضاء على ردة دبا ، وكانوا مع عكرمة عند تحرره من عمان للقضاء على حركات التمرد في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، أما المشاركة المؤثرة في الفتوحات فانها تأتي في بداية حركة المسلمين في اتجاه الشام لضرب قوة الروم في المناطق المتاخمة لنفوذ الدولة الاسلامية والحركة غربا للقضاء على نفوذهم في الشام كله ، ويأتي ذكر عمان وأهلها كعنصر مشارك في هذه الحملات منذ سنة ١٣هـ في حياة أبي بكر الصديق ، وكان عدد من القبائل العمانية

(٤٦) انظر : السلمي ، تحفة ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٤٧) نفسه ، ص ٤٤ .

التي تعاونت مع عكرمة في حروب الردة قد رجع معه الى المدينة ، فيروي الطبري « وقد قدم على أبى بكر عكرمة قاتلا وغازيا ، فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو ، فكتب أبو بكر الى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل ، فكلهم استبدل ، فسمى هذا الجيش جيش البدال » فقدموا على خالد بن سعيد الذي كان يواجه جيوش الروم في الشام (٤٨) .

أما في الجبهة الفارسية فيبدو أن العرب في حروبهم ضد دولة الفرس لم يكتفوا بالهجوم البري فقط ، بل استخدموا القوة البحرية التي أتاحها لهم دخول عناصر من السكان في كنف الاسلام في الأقاليم المجاورة لفرس مثل عمان والبحرين ومشاركتهم في الحروب الاسلامية ضد الفرس ، وهذه العناصر كان لها تاريخ عريق في فن الملاحة وركوب البحر ، ولذلك نلاحظ أن النشاط البحري في الجبهة الشرقية كان متقدما بسنوات عن مثيله في جبهة الشام ومصر . وليس معنى هذا أن العناصر الشامية والمصرية كانت أقل دراية بركوب البحر من سكان الشاطئ الغربي للخليج ، ولكن دور البحرية في منطقة الخليج في ذلك الوقت كان لنقل الجيوش من المناطق التي يسيطر عليها المسلمون الى الجزر في الخليج أو الى الساحل الشرقي ، ولم يكن مثل هذا الدور متاحا في بداية حركة الفتوحات الاسلامية في الشام بسبب التفوق الساحق للبحرية الرومية وسيطرتها على حوض البحر المتوسط آنذاك .

وكيفما كان الأمر ، فإن المصادر التاريخية تحدثنا عن محاولات جريئة حدثت في عهد عمر بن الخطاب كان الهدف منها ضرب جزر في الخليج وإزاحة الفرس عن مواقعهم على السواحل الشرقية التي كانت

(٤٨) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ .

نقط ارتكاز قوية كمراكز حربية وتجارية ، فيشير ابن سعد الى حملة بحرية بعث بها العلاء بن الحضرمي من البحرين بقيادة عرفجة بن هرثمة سنة ١٤هـ ، وكان هدفها ضرب السواحل الفارسية « فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس ، واتخذ منها مسجدا » (٤٩) .

وفي سنة ١٥هـ ولي عمر بن الخطاب ، عثمان بن أبي العاص الثقفي على عمان والبحرين^(٥٠) ، ومن المحتمل أن الخليفة قد رمى من وراء جمع ولايتي عمان والبحرين لعثمان الى تحقيق أهداف عسكرية تساعد في حركة الفتوحات الاسلامية في هذه الجبهة ، فالإقليمين يكمل كل منهما الآخر ويحتاج الى قيادة واحدة للتصدي للخطر الفارسي والاستمرار في حركة الهجوم النشطة ضد الفرس، وبدأ عثمان بن أبي العاص ولايته بأن وقد بنفسه الى عمان ليحل محل واليها السابق من قبل عمر ، وهو رجل من الأنصار يدعى « بلال » وأسند ادارة البحرين الى أخيه الحكم بن أبي العاص^(٥١) وتمكن عثمان من تقوية نفوذه في عمان والبحرين بالتعاون مع القبائل المحلية من الأزد وراسب وناجية وعبد القيس^(٥٢) الذين حسن إسلامهم وانخرطوا في جيش الخلافة ، وتمكن عثمان من أن يوحد بين عمان والبحرين في هذه المرحلة ، وحسب رواية البلاذري فقد « اتسقت له طاعة أهلها » (٥٣) .

ويبدو أن الفرس كانوا قد قاموا بتحركات عسكرية في جزر الخليج

(٤٩) انظر : طبقات ابن سعد ، م ٤ ، قسم ٢ ، ص ٧٨ .

(٥٠) البلاذري ، فتوح ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٥١) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٢٨ .

(٥٢) انظر : الساملي ، تحفة ، ص ٤٧ .

(٥٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٧٦ .

وعلى شاطئه وربما قد لجأ الى هذه المناطق فلول المهزومين في موقعة
جلولاء سنة ١٦هـ (٥٤) ، مما أثار مخاوف الخليفة عمر بن الخطاب ،
فأرسل الى واليه على عمان بأن يوجه حملة عبر الخليج الى فارس ،
ولما بدأ عثمان في اعداد الحملة ، طلب من أهل عمان المشورة لخبرتهم
في فن الملاحة وركوب البحر ، فدلوه على أبى صفرة كأحد الثقة في هذا
المجال ، وندب عثمان المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل أكثرهم
من أزد عمان ، وكان من بين رجاله أبو صفرة ، وتمكن عثمان بن أبى
العاص بهذه الحملة من هزيمة الفرس واستولى على جزيرة ابن كاوان
(البحرين حالياً) (٥٥) وقد أسند قيادة هذه الحملة لأخيه الحكم بن أبى
العاص ، فيروى البلاذرى أن عثمان « وجه أخاه الحكم بن أبى العاص
في البحر الى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبنى
ناجية ، ففتح جزيرة ابن كاوان ثم صار الى توج » (٥٦) ، وقد قتل في
المعركة حول جزيرة ابن كاوان حاكم كرمان مما أثار الرعب في الاقليم ،
فتمكن المسلمون من الاستيلاء على كرمان في هذه السنة (١٦هـ) (٥٧) .
ونشير المصادر الى أن عثمان بن أبى العاص قد اتخذ من توج قاعدة
لقواته وبدأ يغير منها على المناطق المتاخمة فاستولى على مدينة

(٥٤) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٥٥) انظر : السالى ، تحفة ، ص ٤٧ .

(٥٦) البلاذرى ، فتوح ، ص ٤٧٦ ، قدام بن جعفر ، الخراج ، ص ٣٨٧ .
وتوج مدينة بفارس قريبة من كارزون شديدة الحر لأنها غور من الأرض بها
نخل (مرصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٢٨٠) .

(٥٧) انظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ٨٢ ، العوتبى ، الانساب ،
ص ١٢٢ - ١٢٣ .

أرجان^(٥٨) الغنية بخيراتها ، وبنى بتوج المساجد وجعلها دارا للمسلمين ، وأسكنها القبائل المشاركة معه في القتال ومعظمهم من أهل عمان من الأزرد وعبد القيس^(٥٩) وغيرهما .

وتمكن عثمان بعد هذا من التصدي للقوات الفارسية من قاعدة توج ، واستمر في ذلك حتى أخضع الاقليم لسيطرته ، بعد أن هزم القائد الفارسي «شهرک» الذي تصفه المصادر بأنه « مرزبان فارس » وذلك سنة ٥٢١ هـ ، فقتل شهرک وابنه في المعركة بينه وبين المسلمين بالقرب من توج ، « وكان يومها في صعوبته كيوم القادسية ، وكتب الى عمر بالفتح »^(٦٠) وشاركت القبائل العمانية في هذه الفترة في الحملات التي تنسبها المصادر الى والي عمان عثمان بن أبي العاص على بلاد الهند ففي اشارة موجزة يروي ابن حزم أن عثمان بن أبي العاص الثقفي غزا بلاد فارس «وثلاثة من بلاد الهند»^(٦١) ويؤكد هذا البلاذري فيقول : « ولى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين و عمان سنة خمس عشرة ، فوجه أخاه الحكم الى البحرين ومضى الى

(٥٨) أرجان : مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ، وهى برية بحرية سهلية جبلية ، بينها وبين البحر مرحلة ، وهى من كورة فارس (مراصد ، ج ١ ، ص ٥٢) .

(٥٩) كانت أعداد كبيرة من قبيلة عبد القيس يسكنون عمان وكان تتركزهم في هذه المرحلة في عمان والبحرين (انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، القاهرة ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ٩٦) .

(٦٠) انظر : قدامة ابن جعفر ، الخراج ، ص ٣٨٧ ، قارن : ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦٩ .

(٦١) انظر : ابن حزم ، جبهة أنساب العرب ، ص ٢٦٦ .

عمان ، فأقطع جيشا الى تانة (٦٢) . ووجه الحكم أيضا الى بروص (٦٣) ، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص الى خور الديبل (٦٤) ، فلقى العدو فظفر (٦٥) . وتلك هي المناطق الثلاث التي تقع في الهند حسب رواية ابن حزم والتي وصلت اليها الجيوش الاسلامية بمشاركة أهل عمان في ذلك الحين .

ومما سبق يتضح أن أهل عمان قد شاركوا في عصر الخلافة الراشدة في حركة الفتوحات الاسلامية وخاصة في الجبهة الشرقية ، وكانت مشاركتهم البحرية في منطقة الخليج أمرا حتميا في ذلك الوقت لنقل الجيوش المحاربة عبر الخليج ولاحكام السيطرة على الجزر والممرات البحرية فيه ، ولما كان المسلمون بوجه عام في بداية حركة الفتوح ، لم يكن لهم أسطول يمكن الاعتماد عليه للمشاركة في خدمة تحركات الجيوش ، فأنى أعتقد أن سكان الخليج الذين انضموا الى جيش المسلمين قد ساهموا بفعالية بما يملكونه من سفن وبما لديهم من خبرة بحرية في المساعدة في السيطرة على جزر الخليج ونقل القوات الاسلامية الى شواطئه الفارسية ، بالاضافة الى مشاركتهم الفعالة في الحروب البرية .

-
- (٦٢) تانة أو تهانة : عاصمة ولاية مهاراشترا حاليا وهي على بعد ٣٠ ميلا من بومباي ، (انظر القاضي أطهر ، المرجع السابق ، ص ١٣٢) .
- (٦٣) بروج أو بروص من أشهر مدن الهند البحرية ، وهي مديرية في ولاية كجرات قريبة من مدينة أحمد آباد (القاضي أطهر ، المرجع السابق ، ص ١٣١) .
- (٦٤) خور الديبل : مدينة على ساحل بحر الهند (البلاذري ، فتوح ، ص ٧٢٠) .
- (٦٥) انظر : البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .

وهناك اختلاف بين المصادر حول أسماء الولاة على عمان في عصر الخلافة الراشدة ، فيشير اليعقوبى الى أنه كان على عمان عندما توفى الرسول ﷺ عبد وجيفر ابنى الجندى « وقال بعضهم عمرو ابن العاص » (٦٦) . مما يوحى بأن ملكى عمان كانا يمارسان سلطاتهما حسب وعد الرسول ﷺ لهما فى رسالته فى حالة اقرارهما بالاسلام كما أشرنا (٦٧) ، ويأتى اسم حذيفة بن محصن الغلفانى كوال على عمان فى عهد أبى بكر الصديق (٦٨) وقد أشرنا اليه كأحد المشاركين فى القضاء على الردة فى دبا ، ثم أسندت اليه مهمة تسكين الناس وتهئية الأحوال ويبدو أنه قام بدور عمرو بن العاص فى القيام بمهمة جمع الصدقات مع وجود الأخوين عبد وجيفر على حالهما .

أما فى عهد عمر بن الخطاب فقد جاء ذكر رجل من الأنصار يدعى « بلال » فى رواية لخليفة بن خياط ، ولم يأت ذكر له فى المصادر الأخرى ، ويتبعه ابن خياط بعثمان بن أبى العاص الثقفى الذى تولى عمان والبحرين سنة ١٥ هـ واستمر حتى وفاة عمر ويتفق فى هذا مع معظم المصادر (٦٩) ، ولكن من الجدير بالملاحظة أن اليعقوبى يروى أن عامل عمر على عمان حتى وفاته كان أبو هريرة (٧٠) أما الطبرى فيذكر حذيفة

(٦٦) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(٦٧) انظر : السالى ، تحفة ، ص ٤٦ .

(٦٨) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٩١ ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٦٩) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ١٢٨ ، البلاذرى ، فتوح ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٣٨٧ .

(٧٠) انظر : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

ابن محسن الغلفاني كوال على عمان من سنة ١٣هـ وحتى وفاة عمر بن الخطاب^(٧١) ، ثم يعود ليذكر في حوادث سنة ٢٣هـ وهي السنة التي قتل فيها الخليفة عمر بن الخطاب أن عامل عمر « على البحرين وما والاها عثمان بن أبي العاص الثقفي »^(٧٢) وكلمة ما ولاها توحى بأن هناك كلمة ساقطة وهي « عمان » وبهذا يتفق الطبري مع معظم المصادر التي سبق الإشارة إليها والتي تؤكد أن عثمان بن أبي العاص تولى عمان والبحرين سنة ١٥هـ أما عن رواية اليعقوبي عن أبي هريرة كوال على عمان ، فلعل الأمر اختلط عليه لأن أبا هريرة كان واليا على البصرة في عهد عمر بن الخطاب^(٧٣) وكانت البصرة في ذلك الوقت بها أعداد كبيرة من الأزد العمانيين الذي كانوا على صلة وثيقة ومستمرة بوطنهم الأصلي عمان وكان هناك تعاوناً مشتركاً بين أبي موسى الأشعري وبين عثمان بن أبي العاص خلال حركة الفتوحات في اتجاه فارس ، مما دفع اليعقوبي الى الظن بولاية أبي موسى على عمان ، فيروي البلاذري أن الخليفة عمر ، كتب « الى أبي موسى الأشعري وهو بالبصرة يأمره بأن يكتف عثمان بن أبي العاص الثقفي ويعاونه ، فكان يغزو فارس من البصرة ثم يعود إليها »^(٧٤) واستمر أبو هريرة على البصرة حتى عزل عنها في عهد عثمان سنة ٢٩هـ بعبد الله بن عامر ، ومما يؤكد هذا الارتباط ما رواه الطبري « فقدم ابن عامر (البصرة) فجمع له جند أبي موسى الأشعري وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وكان عثمان فيمن عبر

(٧١) انظر : تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ ، ٦٢٣ ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٧٢) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٤١ ، انظر : مرصد الاطلاع ، ج ٢ ،

ص ١٦٧ .

(٧٣) انظر : تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .

(٧٤) انظر : البلاذري ، فتوح ، ج ٢ ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

من عمان والبحرين « (٧٥) .

وتصمت المصادر العامة عن ذكر عمال عمان من قبل الخليفتين عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هـ) وعلى بن أبي طالب (٣٥ - ٤٠ هـ) ، ولكن الروايات العمانية تذكر أنه بعد وفاة عبد وجيهر ابني الجلندي ، خلفهما على عمان عباد بن عبد بن الجلندي في زمن عثمان وعلى (٧٦) ، ورغم ذلك فهناك بعض الاشارات التي يفهم منها أن على بن أبي طالب قد عين ولاية على عمان ، وأنه كانت تربطه علاقات قوية بقبائل الأزدي العمانية المقيمة في البصرة والتي كانت منقسمة على نفسها بين التأييد والمعارضة لسياسته ، فقد التقى أبو صفرة الأزدي العماني بالخليفة على ابن أبي طالب في أعقاب موقعة الجمل (٣٦ هـ) في البصرة ، ودار بينهما حوار أورده «العوتبي» يفهم منه أن أبا صفرة كان زعيم الأزدي في البصرة في ذلك الوقت ، وأن عليا شكى له من موقف بعض العناصر الأزدية المعارضة له ، فكان رد أبو صفرة « والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضرا ما اختلف عليك منهم سيفان » (٧٧) .

ويبدو أن العلاقات قد ساءت بين عمان وعلى بن أبي طالب بعد ذلك ، وخاصة في أعقاب التحكيم وما أسفر عنه من نتائج . فيروي اليعقوبي في أحداث سنة ٣٨ هـ أن عليا قد وجه الحلو بن عوف الأزدي عاملا على عمان ، فوثبت به بنو ناجية فقتلوه ، وكان الخريت بن راشد

(٧٥) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٧٦) انظر : الزكوي ، تاريخ عمان ، ص ٤٠ ، قارن : ج.س.

ولكنسن ، بنو الجلندي في عمان ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٧٧) انظر : العوتبي ، الانساب ، ص ١٢٥ .

وأصحابه الذين ثاروا على علي بن أبي طالب بالكوفة قد فروا الى عمان، فأرسل علي جيشا بقيادة معقل بن قيس الرياحي الى عمان تمكن من القضاء على الخريت بن راشد وقتله^(٧٨) بعد معارك عنيفة يروى تفاصيلها الطبري^(٧٩) . وهكذا كان انتقام بني ناجية من علي بن أبي طالب بقتل العامل الذي أرسله اعلاثا عن العصيان ورفض سياسته بعد التحكيم .

ومن الجدير بالملاحظة أن الخريت بن راشد كان من زعماء بني ناجية العمانيين وقد ساهم في حروب الردة ضد لقيط بن مالك في دبا وعاون الجيوش الاسلامية عندما كانوا على وشك الهزيمة^(٨٠) وكان الخريت ، وقومه من بني ناجية ، من أنصار علي بن أبي طالب وقد انضم الى صفوفه يوم الجمل وشهد معه صفين والنهروان^(٨١) وقد أعلن الخريت مفارقتة لعلی سنة ٣٨ هـ ، ولما سأله علي عن السبب قال « لأنك حكمت في الكتاب ، وضعفت عن الحق اذ جد الجد »^(٨٢) .

وهكذا نلاحظ مما سبق أن هناك عناصر قبلية من الأزرد وبني ناجية في عمان كانت تعارض سياسة علي بن أبي طالب منذ موقعة الجمل وبعد

(٧٨) انظر : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٧٩) انظر تفاصيل ثورة الخريت بن راشد بن ناجية ضد علي ابن أبي طالب (تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ١١٣ - ١٣٢) ولا يذكر الطبري في روايته عمان بالنص مثل اليعقوبي ، ولكنه يذكر أن معقل بن قيس الرياحي هائد جيش علي بن أبي طالب التقى بالخرت «بالأسيف» وهي تعني الشواطئ ، ومن المرجح أنها شواطئ عمان كما ذكر اليعقوبي .

(٨٠) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٨١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ١١٣ .

(٨٢) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

التحكيم ، ولعل هذه القبائل التي حسن اسلامها وظلوا على فطرتهم ونقائهم لم يقتنعوا بالقتال الذي نشب بين الصحابة وبعضهم من المبشرين بالجنة ، في موقعة الجمل ، مما أدى الى مصرع بعضهم ، كما استعانت أيضا لما حدث في صفين من خداع استخدم فيه كتاب الله العزيز ، وما تبع هذا من الاتفاق بين الفرقاء على التحكيم وما أعقبه من خروج عناصر من أصحاب على عليه ومفارقتهم له ، وقتل معظمهم في النهروان (٥٣٨هـ) ، فكانت ثورة الخريت بن راشد العنيفة ضد على بن أبى طالب لها جذورها في عمان ، فعند الخطر لجأ الخريت الى قومه ليحتمي بهم ، ولكن جيش على طارده حتى قضى عليه (٨٣) ، فكان من الطبيعي أن ينتقم قومه من بنى ناجية ويقتلون عامل على بن أبى طالب الذى أرسله بعد ذلك وهو الحلو بن عوف الأزدي (٨٤) ، ومن المحتمل أن هذه المواقف توحى بأن القبائل في هذه المنطقة قد بدأ يتبلور لديها رأى مستقل في الخلافة ينادى بعودة الشورى (٨٥) كما كان له ضلع في عهدها الأول لأنه يتفق مع طبيعتهم القبلية .

(٨٣) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

(٨٤) تاريخ اليعقوبى ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٨٥) على حسنى الخربوطلى ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموى ، (القاهرة ١٩٥٩) ص ٥٨ .

الفصل الثالث

عمان والدولة الأموية

يكتنف تاريخ عمان في بداية العصر الأموي وحتى ولاية الحجاج على العراق (٧٥هـ) كثيرا من الغموض ، بل تكاد المصادر تصمت تماما عن تناول هذه الفترة ، مما شجع بعض المؤرخين الحديثين الى اطلاق العنان لخيالهم وتأويلاتهم والتي غالبا ما جانبها الصواب لعدم اعتمادها على وثائق تؤيد ما يذهبون اليه . وحتى الرواية العمانية لا تذكر هذه الفترة الا في عبارة موجزة جاءت في عدة أسطر ، فيقال « أنه لم يكن لمعاوية ولا لمن بعده سلطان في عمان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق ، وكان ذلك في زمن سلبمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندي » (١) .

ولعل هذه العبارة للسالمى هي التي دفعت أحد المؤرخين الى القول بأن العمانيين قد رفضوا « الاعتراف بخلافة معاوية ، وأكدوا استقلالهم ، فلم يرسلوا الزكاة الى بيت المال .. ومن ناحية أخرى فان معاوية هو الآخر لم يتمكن من فرض سلطته على عمان » (٢) .

(١) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٥١ .

(٢) انظر : محمد رشيد العقيلي ، الاباضية في عمان وعلاقاتها مع الدولة

العباسية في عصرها الاول ، ص ٤ (سلسلة تراثنا ، عمان ١٩٨٤) .

ولا أدري من أين استقى صاحب العبارة معلوماته التي أوردها في السطرين السابقين ، والتي يفهم منهما أن عصيانا جرى في عمان في عهد معاوية أدى الى عدم الاعتراف بخلافته ومنعت عن بيت المال أموال الزكاة ، وبالتالي فإن معاوية قد ضعف عن فرض نفوذه على عمان فاستكان للأمر الواقع ، وفي رأينا أن هذه تخريجات يجانبها الصواب ولا تستند الى دليل ، فالدولة الأموية في عهد معاوية كانت من القوة بحيث تستطيع أن تسيطر على عمان في أى وقت تشاء ، ولئن أذكر تفاصيل ما كانت عليه قوة الدولة الأموية في ذلك الوقت ونشاط حركة الفتوحات في المشرق^(٣) حيث وصلت الجيوش الأموية الى نهر جيحون وعبره المسلمون ليهاجموا بخارى وسمرقند ، كما وصلت قوات المسلمين بقيادة عقبة بن نافع الى المغرب الأدنى حيث أسس هناك مدينة القيروان سنة ٥٥هـ^(٤) .

وبالإضافة الى ذلك ، فقد تمكن المسلمون في عهد معاوية من فرض سيطرتهم على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وهددوا بأساطيلهم القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية أكثر من مرة^(٥) ، فهل هذه القوة العسكرية الكبيرة في المجالين البرى والبحرى كانت عاجزة عن الاستيلاء على عمان في ذلك الوقت ؟ .

واعتقد أن التعرض لتاريخ عمان في هذه الفترة يحتاج الى نظرة

(٣) انظر تفاصيل حركة الفتوحات في عهد معاوية على سبيل المثال في النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٤) انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، نشر كولان وبرفنسال ، لندن ١٩٤٨ ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٥) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٩٣ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٢٧١ .

شاملة على الأحداث في العالم الاسلامى بوجه عام وعلى اقليم العراق والبصرة على وجه الخصوص ، فقد قسم معاوية الدولة الأموية الى أقسام ادارية وكانت ولاية البصرة تشمل خراسان وسجستان والبحرين وعمان ، فيروى الطبرى في حوادث سنة ٤٥ هـ « استعمل معاوية زيادا على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان »^(٦) ، وكان زياد بن أبى سفيان أو ابن أبيه شديد الوطأة على الناس عنيفا في ادارة الولايات التى اسندت اليه ، ورغم ذلك لم يرد في المصادر التى بين أيدينا ما يفيد حدوث أى اشتباك أو اتصال على أى مستوى بين زياد بن أبيه وعمان حتى وفاته سنة ٥٣ هـ^(٧) ولا في عهد ابنه عبيد الله بن زياد الذى اسندت اليه ولايات أبيه بعد فترة من وفاته سنة ٥٥ هـ والذى كان لا يقتل عنفا عنه ، واستمر على هذه الولايات حتى وفاة معاوية سنة ٦٠ هـ^(٨) .

ومن المرجح أن سبب بعد عمان عن مشاكل الدولة الأموية في هذه الفترة أن آل الجندى الذين كانوا يحكمون عمان في ذلك الوقت وهم عباد بن عبد بن الجندى وكان يساعد ابنه سعيد وسليمان^(٩) ، كانوا يديرون البلاد بما لا يتعارض مع سياسة الدولة الأموية بوجه عام ، وبعبارة أخرى ، أن عمان لم يحدث فيها ما يشغل بال الخلافة الأموية ويجعلها تفكر في ارسال حملة أو جيش لاختضاعها ، لأن تبرير الصمت عن ذكر شيء في المصادر عن عمان في هذه الفترة ، هو أنها لم تكن طرفا

(٦) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢١٧ ، انظر أيضا : على حسنى

الخبوطلى ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٧) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

(٨) انظر : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ ، ص ٣٢٣ .

(٩) انظر : الازكوى ، تاريخ عمان ، ص ٤٠ .

في أحداث مهمة تستحق أن يسجلها المؤرخون ولكن سنلاحظ أن المصادر سوف تتناول بعد ذلك هجمات النجدات ثم الحجاج على عمان — كما سنوضح فيما بعد +

١ — عمان والخوارج النجدات (١٠)

في بداية عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) نشطت حركات الخوارج بوجه عام ، ويهمننا في دراستنا الخوارج النجدات نسبة الى نجدة بن عامر الحنفي الذي تمكن من الاستيلاء على اليمامة ، وتوجه منها للاستيلاء على البحرين سنة ٦٧ هـ ، واجتمعت قبائل عبد القيس لمحاربتة والتصدى لجموعه ، ولكن قبائل الأزد كان لها رأى آخر ، فقد أعلنوا أن « نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور ، وولاتنا تجور ، فعزموا على مسالمة » (١١) . ورغم هذه المعارضة من جانب قبائل عبد القيس الا أن نجدة تمكن من الاستيلاء على البحرين ، ويبدو أن تأييد العناصر الأزدية له — حسب رواية النويرى — قد شجعه على التطلع لضم عمان الى سلطانه +

ويجدر هنا أن نلاحظ أن الذي تصدى للخوارج النجدات في ذلك الوقت لمنعهم من السيطرة على مزيد من الأقاليم وازاحتهم عما تحت يدهم منها كانت جيوش عبد الله بن الزبير ، وليست جيوش الدولة الأموية ، فكانت العراق في هذا الوقت قد بايعت لعبد الله بن الزبير

(١٠) عن الخوارج النجدات انظر : الشهرستاني (محمد عبد الكريم ابن أحمد) ت ٥٤٨ هـ ، الملل والنحل ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٥ — ٢٨ ، الرازى (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب) ت ٦٠٦ ، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٥٥ .

(١١) انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٥٥ .

وأصبحت خاضعة له يعين عليها الولاة ، فعين أخاه مصعب بن الزبير واليا عليها منذ سنة ٦٧هـ (١٢) ، وبالتالي يمكن القول أن عمان كانت تحت اشراف مصعب بن الزبير بحكم ولايته على العراق والبصرة على وجه الخصوص ، لذلك بادر مصعب في سنة ٦٩هـ بارسال جيش قوى يقدر بحوالى عشرين ألف نسمة بقيادة عبد الله بن عمير الليثى الأعور للتصدى لجيش الخوارج النجدات لطردهم من اليمامة والبحرين ووقف أطماعهم في الاستمرار في ضم أقاليم جديدة ، ولكن هذا الجيش لقي هزيمة قاسية على يد نجده ورجاله ، وغنم الخوارج ما في معسكرهم (١٣) .

وهكذا يتضح أن الثائرين على الدولة الأموية سواء من الخوارج أو من الزبيريين كانوا يحاربون بعضهم بعضا ولم يكن من الممكن أن يوحدوا جهودهم لاختلاف العقائد والأهداف وكان من الطبيعي بعد انتصار النجدات على جيش الزبيريين أن يشعروا بالاطمئنان على نفوذهم ويتطلعوا الى الاستيلاء على عمان فتروى المصادر أن نجدة أرسل جيشا الى عمان بقيادة أحد قواده ويدعى عطية بن الأسود الحنفى الذى تمكن من دخولها وكان يحكمها آنذاك عباد بن عبد بن الجندى الذى كان شيخا طاعنا فى السن ، وكان يساعده ابنه سعيد وسليمان (١٤) فتصدى العمانيون دون مساعدة خارجية للنجدات ، ولكن حلت الهزيمة بالجيش العماني وقتل عباد أثناء القتال واستولى عطية بن الأسود على عمان ، وأقام بها عدة أشهر وخرج منها مستخلفا أحد رجاله ويدعى أبو القاسم (١٥) .

(١٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ١٠٦ ، النویری ، المصدر

السابق ص ٦٧ .

(١٣) انظر : النویری ، نفسه ، ص ٥٦ .

(١٤) انظر : الزكوى ، تاريخ عمان ، ص ٤٠ .

(١٥) النویری ، نهاية الارب ، ج ٢١ ، ص ٥٦ .

ويبدو أن الأخوين سعيد وسليمان اللذان آلت اليهما مهمة حكم عمان بعد موت والدهما قد تمكنا بعد الهزيمة على يد النجدات ومقتل والدهما أن يفرّا الى داخل عمان واحتميا بمن بقى من مؤيديهما في الجبال الوعرة التى تمتاز بها تضاريس عمان لأنه لم يمض وقت طويل حتى داهم العمانيون أبا القاسم الذى استخلفه نجدة وقتلوه وثأروا بذلك من النجدات ، وتشير المصادر الى أن عطية بن الأسود الحنفى لما وصله خبر هذه الهزيمة « فعاد الى عمان فلم يقدر عليها ، فركب فى البحر وأتى كرمان »^(١٦) مما يوحى — استنادا على هذا النص — بأن عطية ابن الأسود قد حاول تأديب العمانيين والثأر لمقتل قائده أبى القاسم ولكن العمانيين فى هذه المرة كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهة فصدوه عن بلادهم ولم يقدر عليها حسب رواية النويرى ، فاضطر الى الانسحاب بسفنه بحرا فى الخليج حتى نزل على شاطئه فى اقليم كرمان .

وكانت كرمان أيضا خاضعة لنفوذ عبد الله بن الزبير ، وكان يخوض الحرب ضد الخوارج الأزارقة فى ذلك الوقت المهلب بن أبى صفرة تحت راية آل الزبير^(١٧) فأرسل المهلب جيشا لمطاردة عطية ابن الأسود الذى هرب من كرمان الى سجستان ، ثم الى السند ، فلحقته به خيول المهلب بقتل ابيلى حيث قتل هناك^(١٨) .

وهكذا تمكن العمانيون من القضاء على خطر الخوارج النجدات

(١٦) النويرى ، نهاية العرب ، ج ٢١ ، ص ٥٦ .

(١٧) راجع التفاصيل ، تاريخ الطبرى ، ج ٦ ، ص ١٢٥ — ١٢٧ .

(١٨) النويرى ، نهاية العرب ، ج ٢١ ، ص ٥٦ .

على بلادهم^(١٩) كما تمكن القائد العماني المهلب بن أبي صفرة من قتل عطية بن الأسود الحنفي ، ونلاحظ أنه بالرغم من وجود البحرين حتى ذلك الوقت تحت سيطرة نجدة بن عامر الحنفي ، فإنه بعد هزيمة قائده عطية بن الأسود ، لم يفكر في إعادة الكرة لغزو عمان مرة أخرى ، فمن الواضح أن عمان قد استعصت على هذه العناصر الشائنة من الخوارج ونجحت في صدها ، في الوقت التي فشلت فيه قوات عبد الله بن الزبير في التصدي لها ، ورغم ما كان تحت يد نجدة من قوات برية وبحرية تمكنه من محاولة إعادة غزو عمان ، إلا أنه لم يجازف بذلك وانتهى الأمر بقتل نجدة بن عامر نتيجة لخلاف بينه وبين أصحابه^(٢٠) .

واستمرت عمان بعد ذلك لعدة سنوات بعيدة عن الأخطار الخارجية، وكان عبد الملك بن مروان مشغولا بالقضاء على الفتن والثورات ، وقد نجح في سنة ٧١هـ في قتل مصعب بن الزبير واستولى على العراق ثم على خراسان في العام التالي ، وتخلص من ثورة آل الزبير نهائيا بعد قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ^(٢١) وعادت عمان مرة أخرى — ولو نظريا — لتصبح في منطقة نفوذ الدولة الأموية ، وكان على

(١٩) يورد ولكنسن « خبرا عن دولة الاباضية قامت تحت حكم نجدة بن عامر الحنفي عام ٦٥هـ وسقطت عام ٧٣هـ ، وفيه ما يلتقى ضوءا عابرا على أحوال عمان في آخر حكمه » . . ومهما كان المصدر الذي رجع اليه ولكنسن فإن هذا الخطأ والخلط العجيب يدل على ما يقع فيه أمثال هؤلاء الباحثين الأجانب عند تعرضهم لكتابة التاريخ الاسلامي دون فهم للنصوص أو لطبيعة المذاهب وجذور تكوينها . (انظر : ولكنسن ، بنو الجندى في عمان ، ص ١٦) .

(٢٠) انظر التفاصيل ، النويري ، نهاية الارب ، ج ٢١ ، ص ٥٧ — ٥٨ .
(٢١) انظر : النويري ، نهاية الارب ، ج ٢١ ، ص ٨٠ .

البصرة في سنة ٧٣٣هـ بشر بن مروان أخو الخليفة عبد الملك واستمر حتى وفاته سنة ٧٤٤هـ وكان قد استخلف قبيل وفاته خالد بن عبد الله بن خالد الذي ظل واليا على البصرة حتى مجيء الحجاج بن يوسف الثقفي الى العراق واليا عليها من قبل عبد الملك بن مروان^(٢٢) ومما يدل على استمرار التقسيم الإداري الذي كان معمولاً به منذ عهد معاوية باعتبار أن ولاية العراق والبصرة يتبعها خراسان وسجستان بالإضافة الى عمان والبحرين ، ما ذكره النويري في خبر تولية عبد الملك للحجاج « على العراق دون خراسان وسجستان »^(٢٣) ، وكان قدوم الحجاج الى العراق في شهر رمضان سنة ٧٥هـ ، فوجه الحكم بن أيوب الثقفي واليا على البصرة^(٢٤) .

وتصمت المصادر تماما عن ذكر عمان في ذلك الوقت رغم تبعيتها للحجاج بن يوسف الذي تولى العراق كما ذكرنا والذي فرض سياسة القبضة الحديدية على هذا الاقليم الذي كان منذ عهد قريب خاضعا لآل الزبير ، وحتى يتيح الفرصة للمهلب بن أبي صفرة أن يواصل صراعه ضد الأزارقة في المشرق^(٢٥) .

ونلاحظ أن الحجاج كان مشغولا عن شئون عمان في الفترة الأولى لولايته على العراق بما صادفه من مشاكل وثورات عنيفة نتيجة لتطبيقه سياسة تنقسم بالقسوة والعنف مما أغضب زعماء القبائل وتحدى بعضهم سلطته ، ومن الأمثلة على ذلك ثورة أهل البصرة التي اشتعلت في ربيع

(٢٢) انظر : تاريخ الطبري ، ج ٦ ، ص ١٦٩ ، ١٩٦ .

(٢٣) النويري ، نهاية الارب ، ج ٢١ ، ص ٢٠٧ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(٢٥) تاريخ الطبري ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٧ .

الآخر سنة ٨٧٦ هـ بقيادة عبد الله بن الجارود^(٢٦) ويهمننا من أمر هذه الثورة ان عمان كانت ملاذا للفارين من بطش الحجاج ، فقد فر اليها بعد هزيمة عبد الله بن انجارود أحد أنصاره وهو عبيد الله بن زياد بن ظبيان ولجأ الى سعيد بن عباد الجلندي ، ورغم أن هناك من أثار مخاوف سعيد بن عباد من ابن ظبيان فانتهى الأمر بقتله^(٢٧) الا أن هذا لا يمنعنا من الاعتقاد بأن فرار ابن ظبيان الى عمان يوحي بعدم سيطرة الحجاج في ذلك الوقت على عمان وأنه ليس له عليها من النفوذ ما يمكن أن يمثل خطرا على ابن ظبيان حتى ذلك التاريخ ، ولعل مثل هذه الحادثة جعلت الحجاج يشعر بخطورة وجود اقليم كبير مثل عمان خارجا عن سلطانه ونفوذه ، وخاصة وأن عمان تتبعه اداريا ، لذلك بدأ الحجاج محاولاته للسيطرة على عمان .

ومن رواية أوردها خليفة بن خياط ، يفهم أن أول وال أرسله الحجاج الى عمان كان يدعى « موسى بن سنان بن سلمة » ويحدد تاريخا لذلك « سنة كذا وسبعين »^(٢٨) ، وواضح من النص أن خليفة بن خياط لا يعلم تاريخ وصول هذا الوالى الأموى الى عمان ، ومن المرجح أنه وفد اليها بعد ثورة عبد الله بن الجارود سنة ٨٧٦ هـ . ويبدو أن موسى بن سنان هذا قد جاء الى عمان تسانده حملة عسكرية حتى يتمكن من فرض سيطرته عليها ، ولم يستمر في عمان طويلا لأن الأخوين سعيد وسليمان من آل الجلندي اعتبرا تدخل الحجاج في شئون عمان اعتداء على استقلالها ، فقاما بالثورة على هذا الوالى وأعادوا سيطرتهم على عمان ،

(٢٦) انظر التفاصيل في 'التنويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ،

ص ٢١٤ — ٢١٨ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢١٨ .

(٢٨) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

ونحن لا نعلم شيئاً عن مصير موسى بن سنان لأن الرواية التي نعتمد عليها في هذا الصدد لا تعطى تفاصيل عن ذلك ولكن النص يقول « ثم غلب عليها (على عمان) سعيد وسليمان ابنا عباد فبعث الحجاج طفيل بن حصين البهراني^(٢٩) فأخرجهما منها^(٣٠) مما يوحى بأن صراعا عسكريا قد نشب بين جيش عمان وبين ولاية الحجاج ، وعبرة « فأخرجهما منها » لا تعنى أن طفيل بن حصين والى الحجاج قد أخرج سعيد وسليمان من عمان ، ولكن من المرجح أنه قد اضطرها الى الاختفاء لفترة عن عاصمة عمان صحرار في ذلك الوقت والاحتفاء بالمناطق الداخلية الجبلية انتظارا لفرصة مواتية لاستعادة نفوذهما مرة أخرى .

ولسبب لانهلمه كتب الحجاج الى واليه على عمان طفيل بن الحصين أن يستخلف عليها ويعود الى العراق « فاستخلف حاجب بن شيبه فمات بها فغلب عليها ابنا عباد »^(٣١) .

وهكذا استمر الصراع بين الجانبين ، وعاود الأخوين سعيد وسليمان التخلص من ولاية الحجاج على عمان ، مما أشعر الحجاج بالرغبة في اخضاع هذا الاقليم المتمرّد ، فلم يتوان عن ارسال الولاة والحملات على عمان رغم ادراكه صعوبة هذه المهمة والمقاومة العنيفة التي تعرض لها ولاته ، واصرار العمانيين على الاحتفاظ باستقلالهم . فأرسل الحجاج عندما بلغه موت حاجب بن شيبه وال جديد على عمان

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣٠) البهراني : منسوب الى بهران بن عمرو بن الحاف من قضاة

(الهمداني ، عجالة ، ص ٢٨) .

(٣١) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٠ .

يدعى — فى رواية ابن خياط — « مجاع بن سحر »^(٣٢) ثم صرفه عنها^(٣٣) ولا نعرف أيضا السبب فى صرف هذا الوالى عن عمان الا أنه قد واجهته مصاعب أصبح من الصعب عليه مواجهتها ويبدو أن هذه المرحلة التى تعدد فيها قدوم ولاية الحجاج على عمان والتى لم يحدد لها « ابن خياط » تاريخا محسدا ، قد استغرقت الفترة بين سنتي (٥٧٦ — ٥٧٩) وكانت خلالها حملات الحجاج تتوالى على عمان دون أن يدرك غرضه منها . ويبدو أن نفوذ الحجاج قد وصل الى غايته ابتداء من سنة ٥٧٨ حيث تروى المصادر أن عبد الملك بن مروان عزل فى هذه السنة « أمية بن عبد الله » عن خراسان وسجستان وضمها الى أعمال الحجاج^(٣٤) وبذلك أصبح يسيطر على الأقاليم الشرقية كاملة والتى تضم البصرة وخراسان وسجستان بالإضافة الى عمان والبحرين .

ففى العام التالى (٥٧٩) أرسل الحجاج أكبر حملاته على عمان بغرض الاستيلاء عليها واخضاعها ، ويكاد ينفرد خليفة بن خياط بذكر هذه الحملة من بين المصدر العامة، فيروى فى أحداث سنة ٥٧٩ « وفيها ولى الحجاج محمد بن صعصعة الكلابى البحرين وضم اليه عمان . . . فولى محمد بن صعصعة « عبد الملك بن عبد الله بن أبى رجا العوذى »^(٣٥) .

(٣٢) يسميه الازكوى « جماعة بن شعوه المزنى » ، انظر : تاريخ

عمان ، ص ٤١ .

(٣٣) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .

(٣٤) الفويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٢٢٧ .

(٣٥) منسوب الى عوذ بن سود بن الحجر بن مهران بن عامر ماء السماء ، بطن من الأزد (انظر : الهمداني ، مجلة ، ص ٩٥) ولعل الحجاج اراد أن يستغل لاختسابه الى الأزد فى تخفيف المعارضة ضده فى عمان .

(عمان) (٣٦) فخرج عليهم الريان النكري (٣٧) بقرية يقال لها طاب من الخط بالبحرين ، وقدم عليه ميمون الحروري (٣٨) من عمان ، فانهزم عبد الملك ، وهرب محمد بن صعصعة ، فركب البحر فقدم على الحجاج ، وقد كان الحجاج بعث يزيد بن أبي كبشة ممدا لمحمد بن صعصعة ، فهرب محمد قبل أن يقدم عليه يزيد بن أبي كبشه « (٣٩) » .

هذا ما رواه ابن خياط ، ويمكننا أن نستنتج من هذه الرواية أن الحجاج رغب في هذه المرحلة أن يجمع بين البحرين وعمان في ولاية واحدة ليحكم السيطرة عليهما ، وكان قد سبق مثل ذلك على يد عثمان ابن أبي العاص الثقفي — كما ذكرنا — ولكن العناصر الثائرة في البحرين وعمان كانوا له بالمرصاد ، ويفهم أن معركة عنيفة قد نشبت بين رجال الحجاج ، وبين رجال « الريان النكري » من البحرين تسانده رجال

(٣٦) ساقطة في الأصل وتفهم من سياق النص .

(٣٧) النكري : لا نجد تفسيراً لهذه الكلمة في هذه الفترة (٧٩هـ) ومن المحتمل أنه اسم نسب كما جاء في لسان العرب أن «بنو نكره بطن من العرب» (انظر : لسان العرب مادة (نكر)) ويجيء ذكر هذه الكلمة بمعنى آخر وهو افكار امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٧١ — ٢٠٨) من جانب بعض الاباضية ، فاطلق عليهم النكارية ، وهذا بعيد عن التاريخ الذي نحن بصددده (انظر : ابن الصغير ، اخبار الائمة الرستميين ، ص٤٣) بيروت ١٩٨٦) ، ابو زكرياء يحيى بن ابي بكر ، كتاب سير الائمة ، ص٥٨ (الجزائر ١٩٧٩) .

(٣٨) الحروري : نسبة الى قرية حروراء بالقرب من الكوفة ، وينسب اليها فرقة الحرورية وهي اول من انشق عن علي بن ابي طالب عند رجوعه من صفين الى الكوفة وانحلزوا الى حروراء . (انظر : الرازي ، المصدر السابق ، ص٥١) .

(٣٩) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٧٦ — ٢٧٧ .

« ميمون الحرورى » من عمان مما يدل على أن أهداف الفريقين كانت واحدة ، ووجه هؤلاء ضربة عنيفة لجيش الحجاج مما جعل واليه « ابن صعصعة » لا يجد أمامه فرصة للنجاة بنفسه الا الهرب بحرا الى العراق ، ولم يستطع التريث لانتظار المدد الذى أرسله له الحجاج لانقاذه من محنته ويذكر ابن خياط رواية أخرى تفيد أن محمد بن صعصعة والى الحجاج قد ذهب الى عمان فقتل هناك على يدى ابن عباد^(٤٠) .

وكيفما كان الأمر فالنتيجة فى كلتا الحالتين واحدة وهى هزيمة جيوش الحجاج هزيمة مخزية ، وعدم مقدرتها على تحقيق أهدافه فى السيطرة على عمان ووضعها تحت نفوذه ، ويختم ابن خياط رواياته عن هذه المرحلة من الصراع العنيف بين جيوش الحجاج وبين العمانيين بقوله « فبعث الحجاج سورة ابن الحر فقتل ابن عباد ، وولاها الحجاج سعيد بن حسان الأسيدى »^(٤١) ولا ندري من يقصد بابن عباد فهما اثنان سعيد وسليمان ولا كيف تم قتله ؟ ، ولكن الرواية العمانية — التى لا تذكر مصادرها — تعطينا بعض التفاصيل التى يمكن أن تملأ بعض الثغرات فى روايات ابن خياط عن هذه المرحلة من تاريخ عمان .

فتشير الرواية العمانية أن عمان ظلت على استقلالها فى العصر الأموى ، ولم يحدث صدام بين عمان والدولة الأموية الا بعد تولية الحجاج على العراق ، وكان يحكم عمان فى ذلك الوقت سعيد وسليمان ابنى عباد بن عبد بن الجندى ، وأهم ملاحظة هنا أن هذه الرواية تهمل ذكر تاريخ الأحداث التى تروىها ، ولكنها تجمل حملات الحجاج الأولى

(٤٠) تاريخ ابن خياط ، ص ٣٠٠

(٤١) نفس المصدر والصفحة .

على عمان والتي ذكرها ابن خياط وحددنا لها الفترة بين سنتي (٥٧٦ هـ ، ٥٧٩ هـ) بأن الحجاج كان يغزو عمان بجيوش عظيمة وكان الأخوان سعيد وسليمان يفضان جموعه ويبيدان عساكره في مواطن كثيرة وكانا كلما أخرج اليهما جيشا هزمناه واستوليا على سواده (٤٢) ، وهذه عبارات عامة غير محددة بأسماء وأماكن وتواريخ مما يجعل لروايات خليفة بن خياط قيمة كبيرة فيما نحن بصددده .

ولكن التفاصيل المهمة في الرواية العمانية توضح الحملات الكبرى التي أدت في النهاية الى خضوع عمان لسيطرة الحجاج بن يوسف ورغم عدم ذكر تاريخ لهذه الحملات الا أنه من المرجح أنها بدأت بعد أن انتهى الحجاج من خطر ثورة محمد بن الأشعث سنة ٨٣ هـ التي هزت الدولة الأموية ، وكادت تطيح بنفوذ الحجاج وتؤدي الى عزله عن الولايات التي يحكمها واستغرقت ما يقرب من الثلاث سنوات كان الحجاج خلالها يواجه أصعب المعارك ومنى بالعديد من النخسائر (٤٣) وأعتقد أنه بعد أن تخلص من هذا الخطر كان يمكنه أن يحشد جيشا كبيرا يوجهه الى عمان لفرض سيطرته عليها . فيرى أنه أخرج الى عمان . « القاسم بن شعوة المزني في جمع كثير وخميس جرار » (٤٤) وكانت حملة القاسم تضم عددا ضخما من السفن التي حطت على سواحل عمان، فتصدى لهذه الحملة سليمان بن عباد في حشد من الأزدي ، وأوقع بجيش الحجاج هزيمة كبيرة ، قتل فيها القاسم وكثير من أصحابه وقواده ، فلما بلغ ذلك الحجاج غضب لذلك غضبا شديدا جعله يفكر في التخطيط

(٤٢) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٥١ .

(٤٣) انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٢٣٣ .

(٤٤) انظر : الزكوى ، تاريخ عمان ، ص ٤٠ .

لحملة أخرى يمسح بها عار هذه الهزيمة ، فاختار لقيادة هذه الحملة « مجاعة بن شعوة »^(٤٥) أخا القاسم مستغلا عامل التعصب القبلي والرغبة في الثأر ، ففى نفس الوقت أمر ألا يشارك في هذه الحملات الا القبائل القيسية ، فجعلها حربا قبلية بين القيسية والبمنية ، ولم يكتف بهذا بل « أقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصر لسليمان بن عباد »^(٤٦) ومعروف أن البصرة كانت بها أعداد كبيرة من الأزد معظمهم من أصل عماني^(٤٧) ويبدو أنهم كانوا يتعاطفون مع أزد عمان ويبلغونهم بأخبار تحركات جيوش الحجاج مما جعل العمانيون يأخذون حذرهم . وحشد الحجاج لهذه الحملة ما يقدر بأربعين ألف مقاتل ، سلك بعضهم الطريق البرى ، وركب البعض الآخر السفن في طريقهم الى سواحل عمان ، وكان في انتظار الحملة البرية سليمان ابن عباد الذى يبدو أنه كمن لها وفاجأها ولم يكن معه سوى ستة آلاف رجل ، فأوقع بها الهزيمة وطاردها وهو لا يعلم بأمر الحملة البحرية التى كان يقودها « مجاعة بن شعوة » والتى رست سفنها في منطقة قريبة من جلفار (رأس الخيمة الحالية) ، وتحركت جيوش مجاعة على ساحل عمان حتى وصلت مدينة بركاء الساحلية فتصدى لهم عندها سعيد بن عباد وقتلهم قتالا عنيفا حتى حجز بينهم الليل ، وأدرك سعيد عدم جدوى المقاومة فانسحب الى الداخل حتى وصل الجبل الأخضر وهناك

(٤٥) قارن : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠٠ .

(٤٦) السالى ، تحفة ، ص ٥٢ ، الازكوى ، تاريخ عمان ، ص ٤١ .

(٤٧) كان في البصرة في ذلك الوقت حشد من الاباضية بقيادة الامام

جابر بن زيد الأزدي العماني وكانت الدعوة في دور الكتمان ، فوضعهم الحجاج تحت مراقبة شديدة خوفا من تأثيرهم على الأحداث . (انظر : عوض خليفات ،

نشأة الحركة الاباضية ، عمان ١٩٧٨ ، ص ٩٩) .

واقاه سليمان ليتدبرا أمر المقتال ضد القوات الغازية ، وكان مجاعة قد جرك سفينه الى ميناء مسقط القريب نسبيا من موقعه في بركاء ، فدبر سليمان عملية فدائية تمكن فيها من اشعال النار في سفن مجاعة فاحترق منها ما يزيد على خمسين وهربت الباقي بعيدا عن الشاطئ ، مما أشعر مجاعة بالرهبة وتمثل له شبح الهزيمة فخرج من بركاء يريد اللحاق بسفنه فالتقى مع جيش سليمان ببلدة سمائل وهو على هذا الحال ووقعت بين الجانبين معركة عنيفة انتهت بهرب مجاعة بمن بقى معه في السفن منسحبا الى جلفار (٤٨) .

راسل مجاعة الحجاج بعد أن كادت قواته أن تمنى بالهزيمة طالبا منه المساعدة لاستكمال مهمته الصعبة في عمان ، فسارع الحجاج بإرسال خمسة آلاف فارس عليهم عبد الرحمن بن سليمان وكانت الأزدي في البصرة تراقب ما يجرى من تحركات عسكرية بعيونها ، وقلوبها مع أشقائهم في عمان ، وأرسلت أخبار المدد على عجل الى الأخوين سعيد وسليمان ، فأدرك الأخوان صعوبة التصدي لكل هذه الحشود ، فقررا حقنا للدماء أن يغادرا عمان طوعا ، فغادراها بحرا بما يمكن حملها معها من الأموال والزراري والأعوان ، وقصدا أحد بلاد الساحل الإفريقي المواجه لعمان وانتهى أمرهما بالموت هناك (٤٩) ، ودخل مجاعة وعبد الرحمن بجيوش الحجاج الى عمان دون مقاومة هذه المرة ، وكان تصرفهم عنيفا يتسم بالفتش والانتقام لما صادفوه من مصاعب سابقة فانتقمتم الجيوش الأموية من القبائل التي كانت تساند سليمان وسعيد

(٤٨) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٥٢ ، الزكوى ، تاريخ عمان ،

ص ٤١ .

(٤٩) تارن : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٠٠ .

شر انتقام وتعرضت البلاد للنهب والتخريب^(٥٠) .

وهكذا خضعت عمان للحكم المباشر من جانب الدولة الأموية ولعل هذه أول مرة منذ دخول الاسلام الى عمان ، يفرض على البلاد واليا من خارج عمان دون رغبة أهلها ، فقد ظلت أسرة الجلندى تحكم عمان منذ أيام الرسول ﷺ حتى فرار سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد ابن الجلندى ♦

ونحن لا نعرف تاريخا محددا للحملة الأخيرة التي استولت فيها جيوش الحجاج على عمان ، ولكن من المحتمل أن هذا كان متزامنا مع رغبة الحجاج في القضاء على آل المهلب العمانيين ، فقد شهدت سنة ٨٨٦ أعنف الضربات ضد المهالبة من جانب الحجاج ففيها قبض الحجاج على يزيد بن المهلب وحبسه ، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته^(٥١) فأعلنها حربا قبلية ضد كل ما هو أزدى أو عمانى ، ومما يؤكد هذا ، الولاة الذين عينهم الحجاج على عمان بعد الاستيلاء عليها ، فقد كان حريصا على أن يكونوا من عرب الشمال ، فيذكر ابن خياط أسماء ثلاثة ولاة منذ استيلاء الحجاج على عمان وحتى وفاته هم : سعيد بن حسان الأسيدى^(٥٢) ، وعبد الرحمن بن سليم الكلبى^(٥٣) ، ثم عبد الجبار بن سبرة المجاشعى^(٥٤) وواضح أنهم جميعا من بنى تميم

(٥٠) انظر : السالى ، تحفة ، ص ٥٢ — ٥٣ ، الازكوى ، تاريخ

عمان ، ص ٤١ — ٤٢ .

(٥١) انظر : النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٣١٣ .

(٥٢) الأسيدى : نسبة الى أسيد بن عمرو بن تميم ... بن مضر

(الهمدانى ، عجالة ، ص ١٤) .

(٥٣) الكلبى : منسوب الى كليب بطن من بنى تميم (نفسه ص ١٠٨) .

(٥٤) المجاشعى : منسوب الى مجاشع بن دارم .. بطن من تميم

مما يوضح حرص الحجاج على تطبيق سياسته العنيفة في عمان لاختصاصها
لسلطان الخلافة الأموية .

كما يقال أن الحجاج قد زج في السجن في ذلك الوقت بعض
زعماء الأزدي في البصرة ومنهم شيخ الأباضية الامام جابر بن زيد ، ولم
يلبث الحجاج أن أطلق سراحه ونفاه الى عمان مما أتاح لجابر الفرصة
لنشر تعاليم المذهب في موطنه الأصلي مستغلا ما يكنه أهل عمان من
كراهية للدولة الأموية ولمثلها في العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ،
ولسيرة الولاة السيئة في أهل عمان ، وقد ساعد هذا على نشر الدعوة
الأباضية بين قطاعات كبيرة من القبائل العمانية^(٥٥) ونحن لا نعلم تاريخا
محددا لنفي جابر بن زيد الى عمان ، ولكن هناك احتمال أن يكون ذلك
متزامنا مع نكبة المهالبة سنة ٨٦ هـ ، ومن المؤكد أن جابر قد عاد الى
البصرة قبيل وفاته سنة ٩٣ هـ^(٥٦) .

ولا نعرف سبب عودة جابر بن زيد من منفاه في عمان الى البصرة
ولا سيما أن الحجاج الذي نفاه كان مازال مسيطرا على العراق ، ولكن
يمكن تبرير ذلك بأن الدعوة الأباضية في ذلك الوقت كانت في دور
الكتمان ، وان الحجاج عندما نفى جابر الى عمان لم يكن بسبب جهوده
المذهبية والا كان بذلك يتيح له فرصة نادرة لنشر مذهبه بين قومه

وعامتهم بالبصرة (نفسه ص ١١١) ويسميه الطبرى « الخيار بن أبى سبرة
المجاشعى » (انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٦ ، ص ٣٩٤ ، وقارن رواية الاغانى ،
ج ٢١ ، ص ٣٦١) .

(٥٥) انظر : عوض خليفات ، ارجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٥٦) خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات ، ص ٢١٠ .

وعشيرته ، ولم يكن الحجاج يملك الدليل على هذا ضد جابر بن زيد والا كان له موقفا آخر وهو المعروف بالبطش وسفك الدماء .

وكيفما كان الأمر فان وفاة الحجاج سنة ٩٥هـ ، ثم تولية سليمان بن عبد الملك للخلافة في العام التالي (٩٦هـ) قد وضع حدا لمعاناة الأزدي بوجه عام ، وأهل عمان على وجه الخصوص ، لتبدأ فترة أخرى من الحكم الذاتي في عمان بعيدا عن الاضطهاد وتعصب الولاة من القيسية ، وكان سليمان بن عبد الملك بعد تولية الخلافة مباشرة قد أسند ولاية العراق الى يزيد بن المهلب^(٥٧) ثم ضم اليه خراسان في سنة ٩٧هـ ، فولى يزيد أخاه زياد بن المهلب عمان ، فلم يزل عاملا عليها محسنا الى أهلها حتى مات سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ^(٥٨) .

ويرى الدكتور عوض خليفات أن الخليفة سليمان بن عبد الملك ، كان على علاقة وثيقة مع المهالبة زعماء الأزدي الذين انضموا الى الحركة الأباضية بأعداد وفيرة ابان امامة جابر بن زيد الأزدي ، ويقول أنه « من المحتمل أن الأباضية لم يلاقوا عنقا خلال فترة سليمان بن عبد الملك الذي عين زعيم الأزدي يزيد بن المهلب واليا على العراق وخراسان »^(٥٩) . وفي رأينا أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أو من سبقه من الخلفاء الأمويين ، ما كانوا يسندون قيادة الجيوش ويولون الولايات الكبيرة لآل المهلب ، وهم يعلمون أنهم يعتنقون المذهب الأباضي ، أو حتى يتعاطفون معه ، فكيف يستقيم ذلك والمذهب الأباضي لا يعترف بالخلافة الأموية ، وينادي بمبدأ الشورى في اختيار الخليفة^(٦٠) وبالتالي عدم

(٥٧) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٣٤٣ .

(٥٨) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٥ ، تاريخ الطبري ، ج ٦ ،

ص ٥٠٦ ، العوتبي ، الأنساب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٥٩) انظر : عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٦٠) انظر : كتاب السير والجوابات ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

أحقية الأسرة الأموية في خلافة المسلمين ، ولعل المهالبة كانوا يؤيدون الدعوة الأباضية أو يتعاطفون معها ، ولكن هذا لم يكن بعلم سليمان بن عبد الملك أو غيره من خلفاء الأمويين ، فالأباضية في هذه المرحلة كانوا في دور الكتمان ، وكانت معلومات السلطة الحاكمة عنهم قليلة ان لم تكن معدومة^(٦١) وحتى حادثة نفى جابر بن زيد الى عمان ثم عودته الى البصرة قبل وفاته سنة ٩٣هـ ، فانها تؤكد ما ذهبنا اليه من جهل الحجاج لحقيقة ما يدعو اليه جابر ، ولذلك فان القول بأن الأباضية لم يلاقوا عنفا خلال فترة سليمان بن عبد الملك يجانبه الصواب ، لأنه كان من الصعب على سليمان أن يحدد معتققي المذهب الأباضي في ذلك الوقت، ولو كان يعلم مثل هذا الأمر لتغير موقفه تماما من الأباضية والمهالبة ، وسوف يتضح ذلك عند تناولنا لثورات الأباضية في حضرموت واليمن والموقف العنيف الذي اتخذته الدولة الأموية في قضائها على هذه الثورات لأنها كانت تواجه عدوا ظاهرا يمكن معرفة أهدافه ونواياه .

أما ما يقال عن « العلاقات السلمية وأحيانا الودية بين الأباضية والسلطة الحاكمة والتي امتدت خلال حكم الخليفين سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز »^(٦٢) فهي علاقات غير مؤكدة مع دعوة تعمل في الخفاء وتبالغ في السرية^(٦٣) .

وتشير المصادر الى تدهور العلاقات بين المهالبة والدولة الأموية في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١هـ) الذي عزل يزيد بن المهلب عن الولايات التي أسندت اليه في عهد سلفه سليمان وقبض عليه وسجنه

(٦١) انظر التفاصيل : أبو زكرياء يحيى ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٦٢) عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٦٣) انظر تفاصيل الدعوة السرية ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ — ١٠٩ .

بحسن حلب^(٦٤) ، ونتيجة لذلك فإن والى البصرة عدى بن أرطاة الفزاري عزل زياد بن المهلب وولى مكانه على عمان «سعيد بن مسعود المزني»^(٦٥) ، ويبدو أن والى الجديد قد أساء السيرة في أهل عمان ، مما دفع أهلها الى الشكوى للخليفة^(٦٦) الذى استجاب لشكواهم فعزل سعيد بن مسعود ، وأرسل على عمان من قبله « عمرو بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصاري »^(٦٧) متخطيا بذلك والى البصرة عدى بن أرطاة ليضمن سرعة رفع الظلم عن كاهل العمانيين ، وكتب عمر بن عبد العزيز الى واليه على البصرة كتابا لتصحيح الأحوال المعيشية لفقراء عمان الذين اضيروا من سياسة والى المعزول ، وجاء في كتابه « .. فانى كنت قد كتبت الى « عمرو بن عبد الله » أن يقسم ما وجد بعمان من عشور الثمر والحب في فقراء أهلها ومن سقط اليها من أهل البادية ، ومن أضافته اليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل ، فكتب الى أنه سأل عاملك قبله عن ذلك

(٦٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٨ — ٤٩ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٣٦٣ .

(٦٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٩ ، ابن حزم ، الجهرة ، ص ٢١٢ .

(٦٦) يروى الجاحظ أن الشاعر العماني كعب الأشقرى كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز أبياتا يشكو فيها عامله على عمان جاء فيها :

ان كنه تحفظ ما يليك فانما

عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذى تدمو له

حتى تجلد بالسيوب رقاب

فلما سمع عمر هذا الشعر سأل عن قائله ، فقالوا له هو لرجل من أهل عمان ، فتعجب لبلاغته وقال : ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر . (انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٣٥٨ — ٣٥٩) .
(٦٧) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٩ .

الطعام والتمر ، فذكر أنه قد باعه وحمل اليك ثمنه ، فاردد الى عمرو ما كان حمل اليك عاملك على عمان من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بها ، ويصرفه فيها ان شاء الله والسلام» (٦٨) .

ويهمنا من هذه الرسالة ما تشير اليه من أن صدقات عمان لم يكن يحمل منها شيئاً الى بيت المال في العاصمة ، وكان المتبع أن تصرف هذه الصدقات على مستحقيها في داخل عمان ، وأن ما يحدث غير ذلك يكون خروجاً على المؤلف يعاد تصحيحه ، كما أن عداً عمر بن عبد العزيز لآل المهلب لم يجعله يسيء معاملة أهل عمان فقد كان بعيداً في سلوكه عن التعصب القبلي أو المذهبي .

ونحن نشك في صحة الرأي الذي يربط بين ثورة يزيد بن المهلب ضد الدولة الأموية (١٠١ - ١٠٢ هـ) وبين « بروز جماعة متطرفة من بين الأباضية تنادى بوجوب الثورة » (٦٩) .

فالمصادر تؤكد أن يزيد بن المهلب كان في سجن عمر بن عبد العزيز منذ توليه الخلافة سنة ٩٩ هـ بسبب لا علاقة له بالأباضية ، بل لأنه طالبه بأموال كان يزيد قد ذكرها في كتاب له الى سليمان بن عبد الملك قبيل وفاته ، فطالبه بها عمر بن عبد العزيز ، فلما أنكرها كان مصيره الحبس (٧٠) ، كما تؤكد المصادر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وولي عهده يزيد بن عبد الملك - الذي ستقع في عهده ثورة يزيد بن المهلب - كانا على علاقة سيئة به ، لتكبره وتحديه السافر للأمراء الأسرة

(٦٨) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٦٩) عوض خليفات ، المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٧٠) انظر التفاصيل ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ ، الكامل ،

ج ٥ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، النويري ، نهاية الأرب ، ص ٣٥٢ ، ٣٦٣ .

الحاكمة^(٧١) . ونلاحظ أنه أثناء أحداث ثورة يزيد بن المهلب لا ترد إشارة واحدة في جميع المصادر تربط بين الأباضية وبين هذه الثورة ولو تلميحا^(٧٢) .

وكيفما كان الأمر ، فإن عمرو بن عبد الله الأنصاري ظل واليا على عمان حتى وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ ، وتشير المصادر العمانية أنه في أعقاب وفاة الخليفة أحضر عمرو بن عبد الله زياد بن المهلب — الذى يبدو أنه كان مازال مقيما في عمان حتى ذلك الوقت — وقال له : « هذه البلاد بلاد قومك فثأرك بها » وسلم له مقاليد الولاية ، وترك عمرو بن عبد الله عمان ، وظل زياد بن المهلب واليا على عمان حتى سقوط الدولة الأموية^(٧٣) .

-
- (٧١) انظر امثلة على ذلك : ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ص ٢٩١ ، تاريخ الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٢٨ — ٥٢٩ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٩ .
الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٩ ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ص ٢٩١ .
(٧٢) انظر التفاصيل : تاريخ الطبرى ، ج ٦ ، ص ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، ٥٩٥ ، النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢١ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٨ .
(٧٣) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٥٣ .

الفصل الرابع

عمان بين عهدين : سقوط الدولة الأموية

وقيام الدولة العباسية

تعرضت الدولة الأموية في نهاية عهدها لانهايار شديد بعد أن تمكنت منها عوامل الهدم التي ترجع جذورها الى بداية الدولة ، ولستنا هنا بصدد التعرض لهذه العوامل التي تسببت في انهيار الدولة الأموية ، ولكن يهمنا أن نوجز الظروف التي سادت المشرق الاسلامي بوجه عام وعمان على وجه الخصوص لنعطى صورة واضحة عن قيام الامامة الاباضية الاولى في عمان .

كما يهمنا من بين العوامل التي سببت انهيار الدولة الأموية عامل « العصبية القبلية » لتأثيره المباشر في توضيح الظروف التي أثرت الى حد ما على سياسة عمان التي يغلب على سكانها قبائل الأزد اليمنية الأصل ، فالعصبية العربية التي كانت أهم دعائم الدولة الأموية ، ومن الثوابت القوية في تماسكها وازدهارها أصبحت مع الوقت وبالأحرار ودمارا على الأمويين ، فقد انشطر العرب الى عصبتين رئيسيتين قعداى احداها الأخرى في النزاع المشهور بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب أو النزارية واليمنية^(١) .

(١) انظر : المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .

وقد بلغ هذا النزاع ذروته في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ / ٧٤٤ - ٧٤٩) ، ورواية المسعودي في هذا الشأن تعطى فكرة ملخصة عن هذا الصراع القبلي المدمر فيقول : « وافتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار وأدلى كل فريق بما له من المناقب ، وتحزبت الناس ، وثارت العصبية في البدو والحضر ، فنتج من ذلك أمر مروان بن محمد الجعدي ، وتعصبه لقومه من نزار ، وانحرف اليمن إلى الدعوة العباسية » (٢) .

ونحن لا نشك أن أهل عمان كانوا طرفا بشكل أو بآخر في هذا النزاع بين النزارية واليمنية ، فما كان يمس اليمنية خارج عمان من مظاهر الاضطهاد أو القتل ، كان يجد صداه لدى اخوانهم في عمان في رد فعل عنيف طلبا للثأر من النزارية المقيمين في عمان والأُمثلة على ذلك كثيرة منها « قصة معن بن زائدة باليمن ، وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار ، *** وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وعمان كيادا لمعن ، وتعصبا من عقبة بن سالم لقومه من قحطان » (٣) .

ونحن للأسف لا نجد معلومات أخرى عن عقبة بن سالم هذا الذي ورد في رواية المسعودي السابقة ، وعن دوره في عمان والبحرين في هذا الوقت مما جعل له السلطة الآن يثار من القبائل النزارية فيهما ردا على موقف معن بن زائدة من أهل اليمن .

ورغم هذا ، فإنه من الصعب الادعاء بأن العناصر اليمنية في عمان ومعظمهم من الأزد ، وخاصة هؤلاء الذين انضموا إلى المذهب الأباضي ،

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

قد ثاروا ضد مروان بن محمد ، أو شاركوا في سقوط الدولة الأموية وهدفهم تأييد الدعوة العباسية ، فالاختلاف المذهبي بين الدعوة العباسية ، والمذهب الإباضي ، لا يختلف في جوهره عن الخلاف بين الإباضية والدولة الأموية .

وقد شهدت السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية مجموعة من الثورات العنيفة في أنحاء مختلفة من أملاك هذه الدولة اختلفت مقاصدها المذهبية وعقائدها الدينية وإن كان يجمعها الرغبة في القضاء على ملك الأمويين ، ويهمنا من هذه الثورات اثورة التي قامت سنة ١٣٩هـ على حدود عمان والتي بدأت في حضرموت وقادها عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق وكان على المذهب الإباضي^(٤) ، ويصرح طالب الحق مبينا أسباب ثورته فيقول : « رأيت باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا ، وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : ما يحل لنا المقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصبر عليه »^(٥) .

راسل طالب الحق زعماء الدعوة الإباضية في البصرة ، فكتب الى الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي^(٦) وكان ينزل في الأزدي والى غيرهم من الإباضية يستشيرهم في الخروج والثورة على الأمويين فكتبوا اليه . . « إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل فان المبادرة

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

(٥) انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٢٤ .

(٦) عاش أبو عبيدة في البصرة وأخذ العلم عن زعماء الإباضية ومنهم الامام جابر بن زيد العماني ، وقد خلفه في قيادة الإباضية بعد موته ، وينسب اليه الفضل في نمو الحركة الإباضية في اقطار متعددة خارج البصرة وذلك بواسطة الدعاة المدرسين او حملة العلم (انظر : عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٠٣) .

بالعمل الصالح أفضل ، ولست تدري متى يأتى عليك أجلك » (٧) وارسلت
اليه الكتب تؤيده وتسانده وكان يحملها من استطاع الانضمام اليه من
الأباضية من البصرة وعمان ، وكان من بين الذين وفدوا الى حضرموت
للاتضمام الى طالب الحق : أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي العماني (٨)
وقد خرج مع أبي حمزة من أهل عمان ممن يدينون بالأباضية جابر بن
جبله بن عبيد الأزدي من نسل مالك بن فهم بجميع بطون نصر بن زهران
اليحمد ، وبنى الحارث الغطريف وبنى طمشان ومعولة ، وبنى مخلد (٩)
وبلج بن عقبة الأزدي وكانت الكتب الصادرة الى طالب الحق من زعماء
الأباضية تحمل في طياتها تعليماتهم في حالة القتال .. « اذا خرجتم
فلا تغلوا ، ولا تغدروا ، واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا
سيرتهم » (١٠) .

اجتمعت الأباضية الى عبد الله بن يحيى في حضرموت ، وتمكن من
السيطرة عليها ، فقد كان عليها في ذلك الوقت واليا من قبل الدولة
الأموية يدعى ابراهيم بن جبله بن مخزومة الكندي ، ويبدو أنه لم يحدث
بينهما قتال لأن كلاهما من كنده (١١) ولكن اكتفى طالب الحق بالقبض

(٧) الأغاني ، نفسه .

(٨) أبو حمزة المختار بن عوف من بنى سليمة بن مالك بن فهم من أصل
عماني (انظر : تاريخ الموصل ، ص ١٠١) ، سيده الكاشف ، عمان في فجر
الاسلام ، ص ٦٧ .

(٩) واضح من روايات أبي زكريا أن أعداد كبيرة من بطون الأزدي العمانية
شاركت في تأييد طالب الحق ، بالإضافة الى بنى مخلد وغيرهم من بطون
نصر بن زهران وسليمة ومعن ابني مالك بن فهم ، وغيرهم من ولد مالك
ابن فهم . (انظر : تاريخ الموصل ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠) .

(١٠) انظر : الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٢٤ .

(١١) تاريخ الموصل ، ص ٧٧ .

عليه وسجنه لمدة يوم واحد ، ثم أطلق سراحه فتوجه الى صنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت حتى جاءت اليه الأباضية من كل مكان وكثر جمعه فبإيعاده وعامة أصحابه من أهل البصرة ، وكان يترعم أباضية عمان في هذه البيعة الجلفندي بن مسعود بن جيفر بن جلفندي^(١٢) — الذي سيتولى الامامة الأباضية الأولى فيما بعد — وأطلقوا عليه « طالب الحق »^(١٣) وخطب بأمر المؤمنين^(١٤) .

وتجدر الإشارة الى أن ما يهمنا من أمر حركة « طالب الحق » هو مشاركة أباضية عمان فيها مشاركة فعالة ، فقد جمعت هذه الثورة العناصر المؤيدة للمذهب الأباضي في المراكز الرئيسية للحركة في البصرة وعمان وحضرموت واليمن ، فكانت ثورة مذهبية في المقام الأول ، وان كانت العناصر الرئيسية فيها يمنية الأصل ، الا أنه من الواضح أن المحرك للثورة لم يكن التعصب القبلي ضد النزارية فحسب ، بل نشر تعاليم المذهب الأباضي واقامة امامة أباضية تسيطر على ما يمكن السيطرة عليه من أملاك الدولة الأموية .

فما كادت الأمور تستقر لعبد الله بن يحيى في حضرموت ، حتى كتب الى أباضية صنعاء بأنه في الطريق اليهم ، ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي وتوجه الى صنعاء (سنة ١٢٩ هـ) وتمكن من الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة مع واليها القاسم بن عمر الثقفي ووضع طالب الحق يده على ما في صنعاء من خزائن وأموال^(١٥) كان في

(١٢) انظر : تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، السالمى ، تحفة ،

ص ٦٠ .

(١٣) تاريخ ابن خياط ، نفسه ، الاغانى ، ج ٢٣ ، ص ٢٢٥ .

(١٤) انظر : المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

(١٥) انظر : تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، الاغانى ، ج ٢٣ ،

ص ٢٢٦ .

أمس الحاجة إليها لتقوية جيوشه والانفاق على أتباعه .

ويبدو لنا أن طالب الحق لم يحسن تقييم مقدراته العسكرية بالقياس الى قوة خصمه مروان بن محمد ، وبالتالي لم يضع لطموحاته حدودا يقف عندها ولا يتخطاها في صراعه ضد الدولة الأموية . فطالب الحق لم يكن يملك من القوة ما يمكنه من تحقيق حلمه في القضاء على الدولة الأموية ووراثتها في حكم العالم الاسلامي فلا قوته العسكرية ولا سعة الانتشار والتأييد لذهبه يمكناه من تحقيق ذلك ، ولا سيما أن الدعوة العباسية في ذلك الوقت (١٢٩هـ) كانت قد بدأت صراعها العسكري ضد الدولة الأموية مؤيدة بحشود ضخمة في خراسان والأقاليم الشرقية بوجه عام^(١٦) ، وكان يمكن لطالب الحق الاستقرار فيما تحت يده من أقاليم لفترة أطول مظهرًا مذهب ، مؤيدا بمن يسانده من العناصر الأباضية المجاورة ، ولكن يتضح من تحركاته العسكرية بعد استيلائه على اليمن أن طموحاته كانت أكبر من ذلك .

فتروى المصادر أنه في موسم حج سنة ١٢٩هـ بعث عبد الله بن يحيى، أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة الأزدي على رأس جيشين في اتجاه الحجاز ، وكانت أوامره أن يقيم المختار بن عوف بمكة بعد انتهاء الموسم ويستولى عليها ، وأن يتوجه بلج الى الشام لمواجهة الخليفة الأموي مروان بن محمد^(١٧) .

وإذا كان ما ذكر عن عدد جيش « طالب الحق » الذي أسندت إليه القيام بهذه المهمة وهو عشرة آلاف^(١٨) صحيحا ، فإن طالب الحق — في

(١٦) انظر التفاصيل ، تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٣٥٣ وما بعدها ،

المسعودى ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

(١٧) الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٢٧ .

(١٨) انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، قارن :

ابو زكريا ، تاريخ الموصل ، ص ١٠١ .

رأينا — كان يقوم بمغامرة غير محسوبة ستكون لها نتائج سيئة على الحركة الأباضية برمتها ، ورغم ذلك فإن المصادر الأباضية تعتبر حركة طالب الحق هذه أقوى حركة للأباضية في تاريخها (١٩) .

ولم يكتف طالب الحق بذلك ، بل تروى المصادر أنه أرسل الرسل والدعاة إلى مصر ، يدعو أهلها إلى الثورة وتأييده في حركته ضد مروان ابن محمد ، فبايع له نفر من قبيلة «تجيب» اليمنية وكان وإلى مصر في ذلك الوقت «حوثر بن سهيل الباهلي» (١٢٨ — ١٣١هـ / ٧٤٥ — ٧٤٨م) وهو من القيسية (٢٠) الذي كان قد بدأ ولايته لمصر بمطاردة اليمنية وقتل أعدادا كبيرة منهم حتى أنه قضى على أسر بأكملها (٢١) . ويبدو أن عدد المؤيدين لحركة عبد الله بن يحيى في مصر كان قليلا ، فقد كشف صاحب الشرطة أمرهم وقبض عليهم وقتلهم حوثر جميعا (٢٢) .

ولعله ليس من قبيل المصادفة أن يتحرك الأباضية في المغرب في نفس السنة (١٣٩هـ) ويقومون بثورة عنيفة ضد الأمويين هناك لم يكتب لها النجاح (٢٣) .

وليس لنا أن نخوض في تفاصيل المعارك التي دارت بين جيوش

(١٩) انظر : كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان ، ج ١ ، تحقيق د. سيده الكاشف ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١١٩ .

(٢٠) انظر : الهمداني ، مجلة المبتدى ، ص ٢٢ .

(٢١) راجع : الكندي (أبو عمر بن يوسف) ، كتاب الولاة والقضاة ، بيروت ١٩٠٨ ص ٩٠ — ٩١ ، أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب ١٩٦٣) ج ١ ، ص ٣٠٣ — ٣٠٥ .

(٢٢) انظر : الكندي ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٢٣) تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

عبد الله بن يحيى وبين الجيوش الموالية لروان بن محمد في الحجاز ، ولكن يمكننا الإشارة الى أن أبا حمزة المختار بن عوف قد تمكن بعد انتصاره في موقعة قديد بالقرب من المدينة في صفر سنة ١٣٠ هـ ، وفرار والي المدينة عبد الواحد بن سليمان الى الشام أن يضع يده على الحجاز ويحكم سيطرته على مكة والمدينة^(٢٤) وقتل في معركة قديد عدد كبير من القرشيين يقدر بحوالي أربعمئة وخمسون رجلا^(٢٥) ، ومما يظهر تغلغل التعصب القبلي في النفوس ، ما يشير اليه صاحب الأغاني من شماتة الأزدي العنانيين في هزيمة قريش لعدم اعترافها بنسبهم ، فيروي على لسان أحد العنانيين المشاركين في المعارك « الحمد لله الذي أذلهم بأيدينا ، فما كانت قريش تظن أن من نزل عمان من الأزدي عربي »^(٢٦) .

ويتضح مما تقدم أن التجمع الأباضي بقيادة عبد الله بن يحيى لم يكن هدفا محصورا في اقامة امامة أباضية في حضرموت واليمن فحسب ، بل كان يرمى الى ضرب الخلافة الأموية في كل مكان والقضاء عليها ، كما نلاحظ أن حضور الجلندي بن مسعود بيعة عبد الله بن يحيى في حضرموت لم يكن حضورا سياسيا الهدف منه التأييد المعنوي فحسب ، بل ان العنانيين قد شاركوا بفاعلية في المعارك التي خاضتها جيوش عبد الله بن يحيى ، وان كان لم يذكر اسم الجلندي بن مسعود بين قواد المعارك ، فان المختار بن عوف العناني كان يشاركه عدد كبير من العنانيين من أبناء عمومته^(٢٧) .

(٢٤) انظر التفاصيل : الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٣٠ ، تاريخ ابن خياط ،

ج ٢ ، ص ٤٠٧ ، تاريخ الموصل ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٢٥) الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٣٢ .

(٢٦) انظر : الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٣٠ .

(٢٧) انظر : تاريخ الموصل ، ص ١١٢ .

وكيفما كان الأمر ، فإن ثورة طالب الحق لم يكتب لها النجاح فقد دأبت قوات مروان بن محمد بقيادة عبد الملك بن عطية السعدى الذى استرد الحجاز وقتل المختار بن عوف وبلج بن عقبة فى عدد كبير من أتباعهم فى نفس السنة (١٣٠هـ) وفر من بقى منهم على قيد الحياة الى اليمن^(٢٨) واستمر عبد الملك بن عطية فى مطاردتهم حتى أوقع بطالب الحق وقتله فى معظم أصحابه ، ودخلت قوات مروان بن محمد اليمن ، وتتبع الأباضية للقضاء عليهم ووصلت قوات ابن عطية الى حضرموت حيث دارت معارك عنيفة هزم فيها الأباضية^(٢٩) .

ورغم هذه النهاية الدامية التى انتهت بها حركة الأباضية بقيادة عبد الله بن يحيى ، إلا أن المصادر تذكر أن مطاردة القوات الأموية لبقيايا الأباضية توقفت عند حضرموت^(٣٠) لأن أوامر صدرت الى القائد الأموى عبد الملك بن عطية بالتوجه الى مكة ليشهد موسم الحج (١٣٠هـ) ، ويبدو أن الموسم كان على الأبواب فأسرع فى عدد قليل من أصحابه متوجها الى مكة ، وفى الطريق تمكن عدد من الأباضية من قتل عبد الملك ابن عطية وأصحابه ، وثأروا لمن قتل منهم فى معاركه ضدهم .

ومن المرجح أن أعدادا كبيرة من الفارين بعد هزيمة طالب الحق لم يكن لهم ملجأ فى ذلك الوقت إلا عمان القرية منهم والتى بها عدد كبير من أخوانهم فى المذهب ، فيروى المسعودى أحداث هزيمة طالب الحق على أيدي القوات الأموية فيقول : « فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى وأكثر من كان معه من الأباضية ، ولحق بقية

(٢٨) الأغانى ، ج ٢٣ ، ص ٢٤٥ .

(٢٩) نفسه ، ص ٢٤٩ .

(٣٠) تاريخ الموصل ، ص ١١٤ .

الخوارج ببلاد حضرموت فأكثرها أباضية الى هذا الوقت ... ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج في هذا المذهب « (٣١) » .

وكان هذا التجمع الأباضي تمهيدا منطقيًا لمحاولة جديدة من جانب الأباضية لاقامة أول امامة لهم في عمان .

امامة الجلندی بن مسعود في عمان

تكاد تصمت مصادر التاريخ العام التي بين أيدينا عن ذكر امامة الجلندی بن مسعود على عمان كأول امام ظهور أباضي ، ولا يأتي ذكر هذا الحدث الا مرتبطًا بواقعة أخرى : وهي مطاردة خازم بن خزيمه للخوارج الصفرية في جزيرة ابن كاوان (البحرين) والذين فروا منها الى عمان فتصدى لهم الجلندی بن مسعود في الأباضية وقضى عليهم وقتل قائدهم شيبان بن عبد العزيز الحروري (٣٢) .

ولكن المصادر العمانية تعطينا بعض التفصيلات المهمة عن حالة عمان في أعقاب قيام الدولة العباسية وعن الظروف التي ساعدت على قيام الامامة الأباضية الأولى ، فيروي السالمی : « أن أبا العباس السفاح ولي أخاه أبا جعفر المنصور على العراق ، وولى المنصور على عمان جناح بن قيس بن عمرو الهنائي ، ثم عزله وولى ولده محمد بن جناح ، فلان للمسلمين (يقصد الأباضية) ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عمان لهم ، فعند ذلك عقدوا الامامة للجلندی بن مسعود ، فكانت سببًا لظهور الاسلام وقوة شوكته » (٣٣) . والنص السابق يحتاج منا الى وقفة للمناقشة والمقارنة والتصحيح .

(٣١) المسعودی ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٣٢) انظر : تاريخ الطبری ، ج ٧ ، ص ٣٥١ — ٣٥٣ ، ص ٤٦٣ .

(٣٣) السالمی ، تحفة ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ .

فان ما رواه السالمى ومن أخذ عنه من المؤرخين المحدثين^(٣٤) من أن والى العراق في سنة ١٣٣هـ عند قيام الخلافة العباسية كان أبو جعفر المنصور ينتافى مع ما جاء في المصادر المختلفة ، فوالى البصرة في هذه السنة كان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب طبقا لما جاء في أقدم المصادر^(٣٥) ، وطبقا لما هو متبع منذ العصر الأموى فان عمان كانت تتبع البصرة اداريا ، واستمر هذا في العصر العباسى ، ويؤكد ما ذهبنا اليه نص للطبرى في أحداث سنة ١٣٣هـ عن ولاية الدولة العباسية في هذه السنة فيقول : « فمن ذلك ما كان من توجيه أبى العباس عمه سليمان ابن على واليا على البصرة وأعمالها ، وكور دجلة والبحرين وعمان ... »^(٣٦) مما يوحى بأن سفيان بن معاوية والى البصرة سنة ١٣٣هـ كانت تتبعه اداريا نفس الأقاليم السابق ذكرها .

أما عن ولاية أبى جعفر المنصور على العراق ، فان المصادر تؤكد أن المنصور قد أسندت اليه في هذا الوقت ولايات الجزيرة وآذربيجان وأرمينية^(٣٧) وهذه أقاليم لا علاقة لها بعمان من الناحية الادارية .

هذا وكان سفيان بن معاوية المهلبى قد ساند الدعوة العباسية في البصرة انتقاما لما فعله الأمويون بآل المهلب ، فلبس السواد وحارب والى الأموى على البصرة^(٣٨) وبعد نجاح الدعوة العباسية كانت مكافأة

-
- (٣٤) انظر : الازكوى ، كشف الغبة ، ص ٤٣ ، محمد رشيد العقيلي ،
الاباضية في عمان ، ص ١٢ .
- (٣٥) انظر : تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ ، تاريخ الطبرى ،
ج ٧ ، ص ٤٥٨ .
- (٣٦) تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٩ .
- (٣٧) تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٨ .
- (٣٨) انظر التفاصيل : تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ — ٤٢٧ ،
تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

العباسيين لسفيان بأن أسندوا اليه ولاية البصرة وتوابعها وردوا اليه
أملاك آل المهلب في البصرة والتي كانت الدولة الأموية قد صادرتها أبان
غضبها على آل المهلب (٣٩) .

ومن المحتمل أن سفيان بن معاوية والى البصرة في بداية العصر
العباسي سنة ١٣٣ هـ ، عندما أراد أن يعين واليا على عمان — وطنه
الأصلي — اختاره بحيث يقف بجانب رغبات أهلها ويعمل على راحتهم
والاحسان اليهم ، لذلك كان اختياره لاثنتين من بنى هناة وهم من الأزد
العمانيين (٤٠) واحدا بعد الآخر : جناح بن عباد الهنائي ، ثم ابنه محمد
ابن جناح ، ومن المرجح أنهما كانا يعتنقان المذهب الإباضي ، فلما أصبح
أحدهما بعد الآخر واليا على عمان ساعدا على قيام الامامة الإباضية ،
فالأول له مسجد مشهور في صحار يعرف بمسجد جناح (٤١) واستمرار
وجود هذا المسجد والحرص على تعميره قد يكون اشارة الى الذكرى
الطيبة التي يحملها الإباضية لهذا الرجل . وفي نفس الوقت فان محمد بن
جناح الذي تولى على عمان بعد والده ، قد قطع شوطا بعيدا في اتجاه
مساندة الدعوة الإباضية ، فعبارة السالمى توحى بأنه قد سلم مقاليده
الولاية في عمان للإباضية « فداهن الإباضية حتى صارت ولاية عمان
لهم » (٤٢) .

(٣٩) انظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ٥١ ، العوتبي ، الانساب ، ج ٢ ،
ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٤٠) الهنائي : منسوب الى هناة بن مالك بن فهم ، بطن من الأزد
وهم بعيان والبصرة (انظر : الهمداني ، عجالة ، ص ١٢٥) .
(٤١) السالمى ، تحفة ، ص ٥٤ .

(٤٢) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٥٤ ، سيدة الكاشف ، المرجع
السابق ، ص ٧٩ .

ومن الغريب حقا أن حدثا مهما مثل عقد الامامة الإباضية الأولى للجلندى بن مسعود في عمان لا نجد له تاريخا محددا حتى في المصادر المحلية ، ولكن هناك ارتباط بين عقد هذه الامامة وبين قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن الدولة العباسية قد أعلنت في ربيع الآخر سنة ١٣٣هـ (٤٣) ، ورغم ذلك فإنه لا يمكن قبول القول بأن عقد امامة الجلندى في عمان كانت متزامنة مع قيام الدولة العباسية كما قرر البعض (٤٤) .

فكما ذكرنا — فإنه بعد قيام الدولة العباسية تولى على عمان اثنان من الولاة الواحد بعد الآخر ، وكان لهما دورا واضحا من الناحيتين القبلية والمذهبية في التمكين للدعوة الإباضية في عمان وتسهيل قيام الامامة الأولى للإباضية ، فإذا كانت الدولة العباسية قد ظهرت في ربيع الآخر سنة ١٣٣هـ فمن المستبعد أن يستمر حكم واليين على عمان أقل من الشهور الباقية من عام ١٣٣هـ ، مما أرجح معه أن الامامة قد ظهرت في عمان في أواخر سنة ١٣٣هـ أو أوائل سنة ١٣٣هـ .

ويبدو أن خبر اعلان هذه الامامة قد أغضب الخلافة العباسية على واليها على البصرة سفيان بن معاوية المهلبى ، وشعر العباسيون بما يمكن أن يكون قد قدمه من تسهيلات ساعدت على قيام الامامة الإباضية ، فكانت النتيجة المنطقية لكل هذا هو عزل سفيان عن البصرة ، فيروى الطبرى أنه في سنة ١٣٣هـ وجه الخليفة أبو العباس عمه سليمان بن على واليا على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان (٤٥) .

(٤٣) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٣١ ، المسعودى ، مروج ،

ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٤٤) انظر : رشيد العقيلي ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٤٥) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٥٩ .

بدأ الجندى بن مسعود بعد توليه الامامة في عمان في تنظيم شئون الحكم والادارة على أسس تتسم بالمركزية ، فنظم الناحية المالية وخاصة فيما يتعلق بالصدقات ومصارفيها الشرعية كما اهتم بما يفرض على التجار وعلى مصادر العمل في البحر ، كما نظم القضاء العماني وأسنده الى العناصر الموثوق بها من الأباضية المشهود لهم بسعة العلم ودمائة الخلق (٤٦) .

ويبدو أن تنظيم مالية البلاد كان مرتبطا الى حد ما بتنظيم فرق الجيش العماني في ذلك الوقت ، فكانت الوحدات العسكرية يتراوح عدد أفرادها بين مائتين وأربعمائة ، واسندت قيادة كل وحدة الى قائد عسكري يشترط فيه التعمق في الفقه الأباضي بالاضافة الى الحزم والقوة كما قسمت هذه الوحدات العسكرية الى جماعات صغيرة تتكون الجماعة من عشرة أفراد يرأسهم عريف أو مؤدب من الملمين بتعاليم المذهب الأباضي ليعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف ويهديهم الى سبيل الرشاد .

وكان راتب الجندي العماني في ذلك الوقت صغيرا يقدر بسبعة دراهم شهريا ، ونحن لا ندري قيمة هذه الدراهم الشرائية في ذلك الوقت ومدى كفايتها لحياة الجندي ومن يعولهم ولكن الراوى الذى نقل عنه السالمى يقول : « وكان المرء منهم يرزق في الشهر سبعة دراهم في غلاء من السعر ، فيصبر على القوت اليسير رغبة في الآخرة والثواب من عند الله ، قال : وقد بلغنا أنه ربما بقى مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان ، فيتطوع بذلك الفضل فيرده في نساء المسلمين » (٤٧) .

(٤٦) السالمى ، تحفة ، ص ٦٠ .

(٤٧) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٦١ ، ٦٢ .

وهذا التنظيم العسكرى والعقائدى الدقيق الذى وضعه الجلندى ابن مسعود لرجالہ من الشراة ، وما طبعهم عليه من التقشف والبعد عن الشهوات والتفانى والرغبة فى الاستشهاد فى سبيل الدفاع عن الوطن والعقيدة ، يدل على أن الجلندى كان يشعر أنه لاشك سوف يواجه بقوة عاتية تحاول القضاء على امامته والوقوف فى وجه دولته الناشئة ، فقد خبر الجلندى من قبل التعامل مع «الجبابة» — وهى المصطلح الذى يطلقه الإباضية على السلطة الحاكمة المعادية لهم^(٤٨) — أثناء الصراع العنيف الذى دار بين القوات الأموية وحركة عبد الله بن يحيى طالب الحق .

بالإضافة الى ما سبق فقد اهتم الجلندى بن مسعود بتنظيم بعض الشئون الاجتماعية فى عمان خاصة ما يتعلق بملابس النساء التى أمر بأن لا يظهر منهن الا الوجه والبنان ، كما نهى النساء عن الخروج فى يوم المطر أو الجلوس فى الطرقات ، كما أمر الرجال بتقصير ملابسهم وألا يظهرها ما فوق الركبة ، وفرض على أهل الذمة عدم التشبه بملابس المسلمين^(٤٩) ، مما يوحى بأن هذه الأمور لم تكن منفذة من قبل على الوجه الأكمال وأن الجلندى أراد أن تطبق بدقة كاملة مع الزام الجميع باتباع هذه التعليمات .

وبالرغم من اقامة امامة الظهور فى عمان بقيادة الجلندى بن مسعود، الا أنه من استقراء الأحداث يفهم أن القيادة العليا للحركة الإباضية ظلت فى مدينة البصرة ، وأن زعماء المذهب فى البصرة كانت بيدهم الفتوى فى القضايا الخلافية التى يتعرض لها أباضية عمان ، ومن الأمثلة

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٤٩) السالى ، المرجع السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .

على ذلك أنه عندما تاقت أنفس بعض أفراد جيش الجلفدى بن مسعود من الشراة الى النساء ورغبوا في الزواج ، وهذا مما يتعارض مع طبيعة مهمتهم وتعاليم المذهب ، وشعر قاداتهم بالخوف لما دب في نفوسهم من الشهوات ، عرضوا أمرهم على علماء الأباضية في البصرة « فلما وصل ذلك اليهم فزعوا منه ، وساءهم ذكر الشراة الذين باعوا لله أنفسهم للنساء ، وطلب الشهوات » (٥٠) وجاءت الفتوى فقبلها الجميع ، « واقتدوا بهدى أهل الفضل واتبعوا أمرهم » (٥١) .

أما المثال الآخر ما حدث من والى ولاية «ابرى» أبو صالح الوضاح الذى أمن جماعة من أعداء الأباضية وقعوا في يده ، وخرج بهم الى الجلفدى بن مسعود الذى رفض الاعتراف بهذا الأمان الذى منحه الوالى ، ووجه من لقى الوضاح في الطريق وقتل الذين أمنهم ، فحدث خلاف فقهي بين الأباضية حول هذه الحادثة ، فرفعت المسألة الى زعماء الأباضية بالبصرة فكانت الفتوى « لا أمان الا للامام ، ولا أمان دون الامام » (٥٢) . وهكذا يتضح الارتباط الوثيق بين أباضية البصرة والامامة الأولى في عمان ، ورغم هذه الاتصالات القوية ، فانه من الصعب قبول الرأى القائل بأن الامامة الأباضية في عمان « اعتبرت نفسها الممثل الشرعى للامامة في العالم الاسلامى ، .. التى كانت تهدف أن تمد نفوذها أولا بأول من المناطق المجاورة لعمان الى كافة أقطار العالم الاسلامى » (٥٣) .

(٥٠) انظر : السالى ، تحفة ، ص ٦١ .

(٥١) نفسه ، ص ٦٢ .

(٥٢) انظر : السالى ، تحفة ، ص ٦٣ .

(٥٣) انظر : محمد رشيد العقيلي ، الأباضية في عمان ، ص ١٨ .

وفي رأينا أن هذا تعميم خطير من الصعب الأخذ به دون أدلة من المصادر التي بين أيدينا ، والتي لم تذكر أو تلمح الى تحركات عسكرية أو نشاط عدائي يهدف أن تفرض الامامة الأباضية نفوذها على العالم الاسلامي ، على العكس من ذلك نرى أن القيادة العليا للمذهب الأباضي لم تكن داخل عمان ، بل ظلت حتى ذلك الوقت يقودها علماء البصرة كما ذكرنا .

والأهم من ذلك أن الامامة الأباضية لم تكن تسيطر على كل عمان خلال فترة حكم الجلندي بن مسعود ، ويفهم من الروايات العمانية أن عناصر من بني الجلندي ، كانوا على خلاف مع الجلندي بن مسعود ، مما اضطره للتخلص من معارضتهم الى قتل عدد من أفراد أسرته وهم جعفر بن سعيد الجلندي ، وابنيه النظر وزائدة^(٥٤) ، ويبدو أن الخلاف كان سياسيا ومذهبيا في نفس الوقت ، أي أن هذه العناصر المعارضة من بني الجلندي وأعوانهم لم يكونوا يدينون بالمذهب الأباضي ، لذلك كان امتناعهم عنبيعة الجلندي بن مسعود يعد تحديا لتعاليم الأباضية . ولكن قتل زعماء المعارضة من بني الجلندي لم يكن يعنى زوال خطرهم والقضاء على نفوذهم ، والدليل على ذلك أنه بمجرد قتل الجلندي بن مسعود سنة ١٣٤هـ على يد الجيوش العباسية — كما سنوضح فيما بعد — ظهرت هذه العناصر مرة أخرى على مسرح الأحداث لتحتل مركز القيادة وتحل محل العناصر التي تدين بالمذهب الأباضي من بني الجلندي ويؤكد السالمي هذا المعنى في قوله : « وبقيت عمان بعده (الجلندي بن مسعود)

(٥٤) انظر : السالمي ، تحفة ، ص ٦٣ ، قارن ، ولكنسن ، المرجع السابق ، ص ٢٢ الذي يرجع سبب المنافسة بين أسرة الجلندي ان الامام الجلندي بن مسعود كان يرجع في نسبه الى جعفر بن الجلندي ، في حين كان خصومه يرجعون في نسبهم الى عبد بن الجلندي .

في يد الجبابرة من بنى الجلفندي منقادين لأمر بنى العباس « (٥٥) » .

وتجدر الإشارة هنا الى أن الامامة لم تكن مستقرة تماماً للجلفندي
ابن مسعود خلال فترة حكمه لعمان ، ويبدو أنه قد أقدم على قتل
العناصر المعارضة من أسرته تحت ضغط من جانب العناصر المتشددة من
مستشاريه ، لأنه بعد تنفيذ الحكم باعدامهم فاضت عيناه بالدموع ،
مما جعل هؤلاء ينتقدون هذه المشاعر ، ويتهمون بالتعصب لأسرته ،
وفي رواية أخرى أنهم طالبوه بالاعتزال عن الامامة ، فاستجاب الجلفندي
لرغبتهم ، وطرح عنه السيف والقلنسوة — التي يبدو أنهما كانتا من
رسوم الامامة — ثم استجاب بعد ذلك لالاحاح أهل الحل والعقد للعودة
لنولي منصب الامامة ثانية (٥٦) .

مما سبق يتضح أنه من الصعب في مثل هذه الظروف الداخلية في
عمان والتي تنقسم بالتوتر الداخلي، وظهور المعارضة للجلفندي بن مسعود
الذي كان يحاول تنظيم المشئون العسكرية والمالية والاجتماعية في بلاده،
أن تكون له طموحات خارج عمان ، ولعله قد استفاد من تجربة عبد الله
ابن يحيى طالب الحق ، الذي شنت قواه العسكرية وبعثر جهوده في
سبيل مد نفوذه خارج اليمن مما أدى الى قتله ومعظم أتباعه على يد
الجيوش الأموية ، رغم أن الدولة الأموية كانت تمر بمرحلة الضعف
والانهيار ، وتحاصرها الثورات في كل مكان . لذلك كان من الصعب على
الجلفندي — حتى لو أراد — أن يوسع نفوذه على حساب أملاك الدولة
العباسية . بل كان عليه أن يواجه خطر التدخل من جانب القوات
العباسية للقضاء على امامته واستعادة عمان الى كنف الخلافة .

وتربط المصادر التاريخية على اختلافها بين حادثة الحرب بين

(٥٥) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٦٦ .

(٥٦) انظر ، السالمى ، تحفة ، ص ٦٣ .

خازم بن خزيمة القائد العباسي والخوارج الصفرية الذين فروا من جزيرة ابن كاوان الى عمان ومقتل زعيمهم شيبان بن عبد العزيز الشكري على يد الجلندي بن مسعود ، وبين القضاء على الامامة الاباضية الاولى ومقتل الجلندي بن مسعود على يد الجيوش العباسية.

وقد اختلفت الروايات في ذكر هذه الحادثة وتاريخها * فالطبري على سبيل المثال يروي في تاريخه عدة روايات مختلفة عن مقتل شيبان هذا فيقول أنه قتل سنة ١٢٩هـ في ناحية البحرين^(٥٧) ثم يذكر في رواية ثانية أنه قتل في نفس السنة ولكن في عمان ، قتله جلندي بن مسعود^(٥٨) ثم يعطينا رواية ثالثة بأنه قتل في سنة ١٣٠هـ في سجستان^(٥٩) ثم يعود فيذكر في أحداث سنة ١٣٤هـ حادثة قتل شيبان بن عبد العزيز في عمان على يد الجلندي بن مسعود بشيء من التفصيل^(٦٠) .

وتكرر معظم المصادر حادثة قتل شيبان مرتين ، مرة سنة ١٢٩هـ ، والثانية سنة ١٣٤هـ وينسب قتله في كلتا الحالتين للجلندي بن مسعود في عمان^(٦١) ولا تحاول هذه المصادر حل هذه المشكلة ، ولكن ابن الأثير يعلق في نهاية الرواية الثانية ليعبرنا بروايته الأولى فيقول : « وقد تقدم سنة تسع وعشرين ومائة قتل شيبان على هذا السياق »^(٦٢) .

(٥٧) تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ٣٥١ .

(٥٨) نفسه ، ص ٣٥٣ .

(٥٩) نفسه ، ص ٣٥٢ .

(٦٠) نفسه ، ص ٤٦٣ ، قارن : تاريخ الموصل ، ص ٧٦ .

(٦١) يذكر ابن خياط هذه الحادثة سنة ١٢٩هـ ، وابن شيبان قتل في

عمان ، ولا يذكر اسم الجلندي (انظر : تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ ،

٤٠٩) .

(٦٢) الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .

وهذا الموضوع يرجع في بدايته الى ثورة الضحاك بن قيس الشيباني الحروري — من الخوارج الصفرية — التي اشتعلت ضد مروان ابن محمد سنة (١٢٨هـ) ، وتعددت المعارك العنيفة بين جيوش الضحاك وجيوش مروان الى أن قتل الضحاك « ونصبت الخوارج بعد قتل الضحاك : الحرى الشيباني ، فلما قتل الحرى ولت الخوارج عليها أبو الدلفاء شيبان الشيباني » (٦٣) .

ويهمنا من النص السابق الذي أورده المسعودي أن الضحاك بعد قتله تولى بعده شخصا يدعى « الحرى الشيباني ، وهو ما أطلقت عليه بعض المصادر اسم «الخيبرى» (٦٤) . ثم تولى بعده زعامة الصفرية « أبو الدلفاء شيبان الشيباني » وأبو الدلفاء هذا هو « شيبان بن عبد العزيز اليشكري » الذي يعرف «بأبي الدلفاء» (٦٥) ، وهكذا يفهم من النص أن هناك قائدين تولى كلاهما زعامة الصفرية الواحد بعد الآخر في أعقاب مقتل الضحاك بن قيس وكلاهما ينسب الى شيبان ، وهذا ما لم توضحه المصادر أما الأول فهو الحرى الشيباني المعروف بالخيبرى والذي قتل في الحرب ضد الدولة الأموية في خراسان سنة ١٢٩هـ (٦٦) والثاني فهو أبو الدلفاء شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، الذي تمكن من الإفلات بقلول الصفرية وأقام بجزيرة ابن كاوان وانشغلت عنه الدولة الأموية بمشاكلها ، كما انشغلت عنه الدولة العباسية حتى استقرت أوضاعها فأرسلت حملة سنة ١٣٤هـ للقضاء على الصفرية واخضاع عمان .

(٦٣) انظر : المسعودي ، مروج ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ .

(٦٤) انظر : تاريخ ابن خياط ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ ، تاريخ الطبرى ،

ج ٧ ، ص ٣٤٩ ، المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٩٨ .

(٦٥) تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٣٤٩ .

(٦٦) انظر : النويري ، ج ٢٢ ، ص ٦٣ .

ويؤكد هذا ، النص الذي أورده النويري ، فيذكر بعد أن استعرض
حادثة مطاردة خازم بن خزيمة لثيبان بن عبد العزيز ولجوء الأخير
الى عمان وقتله على يد جيش الأباضية بقيادة الجلندي بن مسعود سنة
١٣٤ هـ « وقد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة في أخبار مروان بن محمد
قتل ثيبان هذا ، وليس هو ثيبان الذي قتل بخراسان ذلك ثيبان بن
سلمة » (٦٧) .

والطريقة التي أرسل بها خازم بن خزيمة الى جزيرة ابن كاوان
سنة ١٣٤ هـ توحى بأن الخلافة العباسية كانت ترغب في الانتقام من خازم
فأرسلته لهذه المهمة على أمل أن يلقى حتفه أو يعود بنصر عزيز المنالك
يكفر به عما ارتكبه من جرم في حق أخوال الخليفة أبو العباس وقتله
عددا منهم (٦٨) وكانت أوامر الخليفة أن يتوجه خازم لمهمته مع سبعمئة
رجل فقط ، وكتب الى سليمان بن علي والي البصرة بحمل خازم ورجاله
في السفن الى جزيرة ابن كاوان ولاشك أن هذا الجيش يعد صغير الحجم
بالقياس الى المهمة التي اسندت اليه وهي حرب الخوارج الصفرية
واخضاع عمان (٦٩) .

ولكن خازم احتاط لنفسه ، وجمع عددا كبيرا من أهله وعشيرته
ومواليه ، ومن أهل مدينة « مرو الروذ » الذين كانوا موضع ثقته ، فلما
وصل خازم برفاله الى البصرة حملهم سليمان في السفن وانضم الى
جيش خازم في البصرة أعداد من قبيلة بنى تميم ، وكانت المحطة الأولى
لهذه القوات جزيرة ابن كاوان حيث يتجمع الصفرية بقيادة ثيبان بن
عبد العزيز ، فوجه اليه خازم خمسمئة رجل بقيادة نضلة بن نعيم

(٦٧) المصدر السابق .

(٦٨) انظر : تاريخ الموصل ، ص ١٥٥ .

(٦٩) انظر : تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، ابن الأثير ،

الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

النهشلى ، ووقع بين الجانبين قتال عنيف كانت الغلبة فيه للجيش العباسى ، مما اضطر شيبان الى الهرب من الجزيرة فركب وأصحابه السفن وساروا الى عمان (٧٠) .

وهكذا تمت المواجهة بين الخوارج الصفرية بقيادة شيبان ، وبين أباضية عمان بقيادة الامام الجلندى بن مسعود ، وتروى المصادر العمانية أن الجلندى عندما علم بنزول شيبان برجاله على سواحل عمان، أخرج اليهم فريقا من جيشه بقيادة هلال بن عطية الخراسانى ويحيى بن نجيع ، وقبل المواجهة العسكرية ، قام يحيى بدعوة شيبان الى الدخول فى المذهب الأباضى وبذلك يمكن حقن الدماء وانضمامه الى اخوانه من الأباضية ، ولكن الصفرية لم يستجيبوا لدعوة السلام ، ودارت معركة بين الجانبين قتل فيها شيبان ورجاله ، واستولى العمانيون عليهم فلم تبق منهم بقية ، وقتل من الجانب الأباضى يحيى بن نجيع فى عدد من رجاله (٧١) .

ويبدو أن خازم بن خزيمة كان يراقب ما يجرى من معارك بين الصفرية والأباضية على أرض عمان ، منتظرا ما تسفر عنه هذه المعارك حتى يتخذ الخطوة التالية ، فما كاد يقضى الأباضية على الصفرية حتى تحرك خازم فى سفنه ونزل على سواحل عمان لتنفيذ الجزء الثانى من مهمته باخضاعها لسلطان الخلافة العباسية (٧٢) .

وتنفرد الرواية العمانية بذكر ما يفيد أن خازم بن خزيمة عندما نزل برجاله على الساحل العماني تقدم الى منطقة جلفار (رأس الخيمة

(٧٠) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .

(٧١) انظر : السامى ، تحفة ، ص ٦٤٤ ، قارن : عوض خليفات ،

المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٧٢) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .

حالياً) ، وقبل الدخول في مواجهة مع الجالندي أبلغه أنه جاء الى عمان بهدف مطاردة شيبان ورجاله ، وطالما أن العُمانيين قد كفوه مشقة قتالهم ، فإنه يرغب في مسالمتهم ، وطلب منه الدخول في طاعة الخليفة العباسي ، وعلان التوالف للدولة العباسية . فجمع الجالندي بن مسعود كبار مستشاريه ومنهم هلال بن عطية الخراساني أحد قادة الحرب ضد شيبان ، وشبيب بن عطية العماني وخلف بن زياد البجرائي ، وعرض عليهم مطالب خازم والتي كانت تتلخص في تسليم خاتم شيبان بن عبد العزيز وسيفه اللذان غنمهما العُمانيون بعد قتله ، ويبدو أن هذا كان بهدف إرسالهما للخليفة دليلاً على التخلص من ثورة اصفريه والقضاء على قائدها ، أما المطلب الآخر لخازم فكان إلزام العُمانيين بالدعاء للخليفة العباسي على منابر عمان ، وأن يعلن الجالندي وأصحابه السمع والطاعة للدولة العباسية (٧٣) .

وبعد مشاورات وافق العُمانيون على الشرط الأول بالإضافة الى منح خازم بعض المال في سبيل الحفاظ على دولتهم الناشئة وعدم الدخول في صدام مع القوات العباسية ، ولكن خازم أصر على أن يقر العُمانيون بالطاعة للخلافة العباسية ، وكان من الصعب على الأباضية قبول هذا الشرط الذي يعد خروجاً على تعاليم المذهب الإباضي الذي أفتى علمائه « أن ذلك لا يجوز في باب الدين ، أن يدفع عن الدولة بالدين ، وإنما يدفع عنها بالرجال والمال » (٧٤) .

ويبدو أن عناصر من علماء المذهب الإباضي كانوا أقل تشدداً ويرغبون في حقن الدماء وعدم الدخول في مواجهة مع قوات خازم، وكانت

(٧٣) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٦٤ ، الازكوى ، كشف الغمة ،

ص ٤٣ .

(٧٤) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٦٥ .

هذه العناصر ترى أنه « لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بالسنتهم اذاخافوا على الدولة والرعية »^(٧٥) الا أن أصحاب الرأي الأول كانوا أكثر تأثيرا ، وكان على الجلندى أن يقاثل القوات العباسية استجابة لتعاليم المذهب الإباضى وفتوى علمائه^(٧٦) .

وتشير المصادر العامة الى المعارك العنيفة التى دارت بين جيش خازم بن خزيمة وبين أتباع الجلندى بن مسعود على أرض عمان، ويظهر من أحداث هذه المعارك أن الجيش العمانى كان مدربا تدريبيا قويا ، تقوده قيادة تعى طبيعة المكان ، فعند الصدام بين الجانبين ، كانت الخسائر شديدة فى صفوف الجيش العباسى فى اليوم الأول ، ويبدو أن جيش خازم كان مازال على الساحل العمانى ، وفوجئ بهجوم عنيف على قواته ، فيروى الطبرى « وكثر القتل يومئذ فى أصحاب خازم ، وهم يومئذ على ضفة البحر ، وقتل فيمن قتل أخ لخازم لأمه يقال له اسماعيل فى تسعين رجلا من أهل مرو الروذ »^(٧٧) .

وقد أغضبت هذه الهزيمة القائد العباسى ، فثار من العمانيين بقسوة فى اليوم التالى مباشرة ، ويبدو أنه نظم صفوفه ، واستوعب طبيعة المكان ، فتروى المصادر أن المعركة فى هذا اليوم قد أسفرت عن قتل نحو تسعمائة من العمانيين ، وأحرقوا منهم نحو تسعين^(٧٨) ، ولم تذكر المصادر الخسائر فى صفوف القوات العباسية فى هذه المعركة ، وان كان من غير المستبعد أن الخسائر لدى قوات خازم كانت كبيرة أيضا ، ويبدو من عبارة « وأحرقوا منهم نحوا من تسعين رجلا »^(٧٩)

(٧٥) نفسه .

(٧٦) انظر : السير والجوابات ، سيرة أبى قحطان خالد ، ص ١٢١ .

(٧٧) تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ .

(٧٨) انظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .

(٧٩) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ .

أن جيش خازم كان يواجه موقفا صعبا مما دفعه الى استخدام السهام والرماح التي على أسنتها النفط لايقاع الرعب في صفوف العمانيين .

وكيفما كان الأمر ، فان هذه المعركة كانت من العنف بحيث أن خازم لم يفكر في مواصلة القتال ضد العمانيين لمدة سبع أيام متصلة : كان خلالها يعمل الفكر ، ويقدر الموقف ، ويستشير رجاله بحثا عن وسيلة تمكنه من تحقيق النصر على جيش الجلندی دون أن يتعرض رجاله لخسائر كبيرة كالتي تعرض لها من قبل . وقد جاء الحل عندما أشار عليه أحد رجاله بأن الخروج من هذا المأزق لا يتم الا بخدعة فيها الكثير من مظاهر الغدر ، وهو أن تفاجئ فرقة من جيش خازم بيوت العمانيين — المصنوعة من الخشب — حيث الأطفال والنساء والشيوخ ، فقتلها عليها الرماح المشتعلة مما يؤدي الى احتراقها « فلما فعل ذلك ، واحترقت بيوتهم بالنيران ، وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم ، شد عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقتل الجلندی فيمن قتل ، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف » (٨٠) .

ويمكن القول أن هذه المعركة كانت ضربة عنيفة لآمال الحركة الإباضية في عمان بعد أن تمكنت من اعلان امامة الظهور الأولى ، وكان عليهم الخضوع لحكم الدولة العباسية والدخول في دور الكتمان حتى تتاح لهم الفرصة ليظروا من جديد ، وقد جاء تعليق المؤرخ الإباضي السالمي على هذه الهزيمة معبرا عن مدى الخسارة التي حاقت بالحركة الإباضية بعد قتل الجلندی وأتباعه فيقول : « ولكونهم استشهدوا جميعا في وقعة واحدة ، صارت الدولة من بعدهم الى الجبابة .. وبقيت عمان بعده (الجلندی) في يد الجبابة من بنى الجلندی منقادين لأمر بنى

(٨٠) انظر : النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٢ ، ص ٦٣ ، ابن كثير ،

البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٥٧ .

العباس « (٨١) ، ويفهم من رواية الطبرى أن خازم بن خزيمة أقام في عمان عدة أشهر ثم جاءته الأوامر في كتاب من الخليفة العباس بالعودة الى العراق (٨٢) ولم يأت ذكر للشخص الذى أسندت اليه مهمة الولاية في عمان بعد ذلك ، ولكن يفهم من رواية السالمى السابقة أن الامارة اسندت الى العناصر المعارضة من بنى الجلندى الذين أعلنوا ولاءهم للدولة العباسية وحكموا باسمها ، « حتى فرج الله كرب المسلمين (الأباضية) ولم يقم هذا الا في سنة سبع وسبعين ومائة » (٨٣) عندما أعلنت الامامة الأباضية الثانية في عمان .

(٨١) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٦٥ — ٦٦ ، الازكوى ، كشف القبة ، ص ٤٤ .

(٨٢) تاريخ الطبرى ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ .

(٨٣) انظر : السالمى ، تحفة ، ص ٦٦ .

الخاتمة

وأخيرا ***

وبعد هذا العرض الموجز لبعض القضايا والاشكالات في تاريخ عمان في القرن الأول والثالث الأول من القرن الثاني للهجرة ، فإنه من الجدير بالاعتبار أن القضايا التي تعرضت لأدراستها — ومعظمها يتعلق بالاختلاف التاريخي حول الأحداث واختلاف الروايات — لا ينفرد بها تاريخ عمان دون غيره من الأقاليم الإسلامية ، بل هي ظاهرة تكاد تكون عامة في معظم أحداث تاريخنا الإسلامي ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويكفى أن نلقى نظرة على تسجيل المؤرخين لأحداث الفتح الإسلامي في عصر الخلفاء الراشدين لنلاحظ بسهولة التضارب الشديد في تحديد السنوات والأماكن والشخصيات التي تنسب اليهم الأحداث ، مما يجعل عملية ترتيب أحداث الفتح وما صاحبها من أحداث كبيرة مثل المجاعات (عام الرمادة) أو الأوبئة (طاعون عمواس) مشكلة تحتاج الى جهد كبير ، ولم تحسم تماما حتى الآن •

كما أنه من الجدير بالملاحظة ، أن منهج البحث الذي يعتمد على اختيار الباحث لرواية واحدة ، يرى أنها تتسق مع الأحداث من وجهة نظره ، أو التي يميل الى الأخذ بها من بين العديد من الروايات التي تتناول نفس الحادثة موضوع دراسته ، وإهمال الروايات الأخرى دون مناقشتها أو حتى الإشارة اليها ، أعتقد أن هذا المنهج يقتنافي مع طبيعة تكوين المصادر في التاريخ الإسلامي ، والتي تعتمد — في معظمها — على الاسناد وتعدد الروايات للحادثة الواحدة تبعا لتعدد الرواة • فاختيار الباحث لرواية واحدة ، وترك باقي الروايات ، يعنى اغماض العين عن

الروايات الأخرى التى غالباً ما تحوى التضارب والاختلاف الجوهرى فى تاريخ الحادثة ومكانها وأبطالها * * * وكأن الباحث فى هذه الحالة يهرب من الدخول فى المواجهة الضرورية مع الروايات المختلفة خوفاً من الوقوع فى الاضطراب والغموض وعدم المقدرة على الحسم والخروج برأى محدد * .

لذلك ، فقد كان هدفى فى هذا البحث أن أطبق منهاجاً يعتمد على مواجهة تعدد الروايات للحادثة الواحدة ، فقامت بعرض الروايات طبقاً للترتيب الزمنى للمؤرخين ، وحاولت — بعد مناقشة منطقية — ترجيح رواية واحدة قد يشترك فيها أكثر من مصدر ، واستبعاد باقى الروايات * * * وأنا لا أنكر هنا عنصر الاجتهاد فى محاولة الاقتراب من الحقيقة ، ورغم ما قد يكون فى هذا الاجتهاد من بعض المحظورات ، ولكنه على أية حال ، أفضل بكثير من الهرب من مواجهة تعدد الروايات ، واختيار الطريق السهل باختيار رواية واحدة والاعتماد عليها فى البحث ، وتجنب الحسم فى اختيار الرواية وإبداء رأى والتعليل المنطقى لترجيح رواية على أخرى * .

وقد عالجت خلال الحقبة التى قمت بدراستها فى تاريخ عمان بعض القضايا مستخدماً المنهج الذى سبق الإشارة إليه ، وكانت أهم هذه الأحداث ، الكتاب الذى بعثه الرسول ﷺ إلى أهل عمان يدعوهم فيه إلى الاسلام ، فقد ذكرت المصادر المختلفة سنوات متعددة لارسال هذه الرسالة ابتداء من سنة ست من الهجرة ثم سنة بعد أخرى حتى حجة الوداع ، فكان أمامنا خمس تواريخ مختلفة لارسال الكتاب إلى عمان كما اختلف المؤرخون فى شخص أو أشخاص حاملى الرسالة ، وأيضاً فى الرسالة نفسها وهل هى واحدة أو أكثر * .

ولا أنكر أننى عانيت فى تتبع المصادر واستقراء الأحداث وترتيبها

منطقيا حتى لا أقع في الخطأ الشائع الذي تناقلته معظم المصادر والمراجع والتي ذكرت بأن كتاب الرسول ﷺ الى عمان كان في سنة ٨هـ بعد فتح مكة وكان يحمل الرسالة عمرو بن العاص ، ولما كان الثابت في هذا الموضوع هو شخص حامل الرسالة عمرو بن العاص ، فانه كان من السهولة رفض التواريخ التي جاءت قبل اسلامه ، وبتتبع تحركات عمرو ابن العاص بعد اسلامه في المصادر اتضح أنه كان في سنة ٨هـ وما بعدها يشارك في بعض الغزوات وأسندت اليه بعض الولايات في مناطق أخرى غير عمان ، فلا يستقيم أن يتواجد عمرو في عمان وفي أماكن أخرى في نفس الوقت ، وأن الرسول بعد حجة الوداع أسند اليه مهمة توصيل كتابه الى حاكمي عمان عبد وجيفر على وعد منه ﷺ أن يعود الى الولايات التي كان عليها قبل سفره لعمان وقد توفي الرسول وعمرو بعمان فأعاداه أبو بكر الى أعماله حسب وعد الرسول ﷺ وهذا ما قادنا الى ترجيح تاريخ ارسال عمرو الى عمان في أواخر سنة ١٠هـ أو أوائل سنة ١١هـ كما ذكرت بعض المصادر القديمة مثل الطبري والمسعودي •

وقد عالجت قضايا أخرى بنفس الأسلوب يمكن للقارئ أن يتتبعها في سياق البحث • وكل ما أرجوه من القارئ الكريم أن يغفر لي ما يكون قد غاب عني في هذه المواجهة الصعبة مع تضارب المصادر واختلاف الروايات ، فهذا البحث جهد متواضع أردت به تعميق منهج معالجة الاضطراب في الروايات في محاولة للوصول الى الحقيقة أو الاقتراب منها ، حفاظا على تاريخنا الاسلامي وتأصيل له ، ونسأل الله أن نكون قد وفقنا فيما رمينا اليه ••

المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية القديمة

- ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم (ت ٥٦٣٠هـ) :
- ١ — أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
- ٢ — الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٨٢م .
- الأصبغري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤١هـ) :
- ١ — كتاب الأقاليم ، (تصوير بغداد بدون تاريخ) .
- ٢ — كتاب مسالك الممالك ، لندن ١٩١٧ .
- البغدادى : صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ) :
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوى ، بيروت ١٩٥٤م .
- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) :
- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٥٦م .
- النجاشي : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) :
- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٨٥م .
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) :
- الاصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ .
- ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد الأندلسى (ت ٤٥٦هـ) :
- ١ — جمهرة نساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٧١م .
- ٢ — الفصل في الملك والأهواء والنحل ، تحقيق عبد الرحمن عميرة وآخرون ، جدة ، ١٩٨٣ .

- الحلبي : على برهان الدين :
- السيرة الحلبيية ، مجلد ٣ (طبع بيروت بدون تاريخ) •
- الحميري : عبد المنعم السبتي (ت أواخر القرن التاسع الهجري) :
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ،
بيروت ١٩٨٤ •
- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) :
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، ٣ أجزاء ،
القاهرة ١٩٧٩م •
- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) :
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ،
٨ أجزاء (بيروت ١٩٦٨ — ١٩٧٢) •
- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) :
- ١ — تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، بغداد
١٩٦٧م •
- ٢ — كتاب الطبقات ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، بغداد ١٩٦٧م •
- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) :
- اعتقاد فرق المسلمين والمشركيين ، القاهرة ١٩٧٨م •
- أبو زكريا : يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٣٤ هـ) :
- تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧م •
- ابن سعد : أبو عبد الله محمد الزهري (ت ٢٣٠ هـ) :
- الطبقات الكبرى ، ٨ أجزاء (طبعة دار الشعب بالقاهرة) •
- ابن سعيد المغربي : أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٠ هـ) :
- كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ١٩٧٠م •
- الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ) :
- الملل والنحل ، القاهرة ١٩٧٧م •

- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) :
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
(طبعة دار المعارف بالقاهرة) *
- ابن عبد البر : الفهرست القرطبي (ت ٤٦٣هـ) :
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، القاهرة ١٣٣٨هـ *
- أبو عبيد القاسم بن سلام :
- كتاب الأموال (بيروت بدون تاريخ) *
- ابن عذارى : أبو عبد الله محمد المراكشى (ت أواخر القرن السابع
الهجرى) :
- البيان المغرب فى أخبار المغرب ، نشر كولان وبروفنسال ،
ليدن ، ١٩٤٨م *
- العوتبى : سلمة بن مسلم الصحارى (ت القرن الخامس الهجرى) :
- كتاب الأنساب ، ٢ جزء ، تحقيق محمد الصليبي ، سلطنة
عمان ١٩٨٤م *
- أبو الفرج الأصفهاني : على بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) :
- كتاب الأغاني (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة) *
- ابن قتيبة الدينوري : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) :
- ١ — عيون الأخبار ، القاهرة ، ١٩٧٣م *
- ٢ — المعارف : تحقيق ثروت عكاشه ، القاهرة ١٩٦٩م *
- قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ) :
- الخراج وصناعة الكتاب (طبع العراق ١٩٨١م) *
- القلقشندي : أحمد بن على بن أحمد (ت ٨٢١هـ) :
- صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، ١٤ جزء (طبع الهيئة
العامة للكتاب بالقاهرة) *

- كتاب السير والجوانبات لعلماء وأئمة عمان (جزء ١) تحقيق سيدة اسماعيل كاشف ، القاهرة ١٩٨٦م *
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) :
— البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٣٣م *
- الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ) :
— كتاب الولاية والقضاة ، تحقيق رفن جست ، بيروت ١٩٠٨م *
- أبو المحاسن : جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ) :
— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبع دار الكتب ١٩٦٣م) *
- المسعودي : على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ) :
١ — التنبيه والاشراف (بيروت ١٩٨١م) *
- ٢ — مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨م *
- أبو منصور الجواليقي : موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر :
— المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٦٩م *
- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ) :
— نهاية الأرب في فنون الأدب (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب) *
- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هـ) :
— السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ١٩٧٨م *
- الهمداني : أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي (ت ٥٨٤هـ) :
— عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب ، تحقيق عبد الله كنون ، القاهرة ١٩٧٣م *

- الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) :
- كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، اكسفورد ١٩٦٥م .
- ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) :
- معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥م .
- اليعقوبي : أحمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ) :
- تاريخ اليعقوبي (طبع بيروت بدون تاريخ) .

ثانيا : المراجع الحديثة :

- أطر مباركوري الهندي :
- العرب والهند في عهد الرسالة ، ترجمة عبد العزيز عزت ، القاهرة ١٩٧٣م .
- ج.س.ولكنسن :
- بنو الجلندي في عمان (نشر وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، ١٩٨٢م) .
- ابن رزيق : حميد بن محمد :
- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان (نشر وزارة التراث القومي — سلطنة عمان ، ١٩٧٨م) .
- سالم بن حمود بن شامس السيابي :
- عمان عبر التاريخ (نشر وزارة التراث القومي — سلطنة عمان ، ١٩٨٢م) .
- السالمي : نور الدين عبد الله بن حميد (ت ١٣٣٢هـ) :
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (طبع انقلعة بمصر بدون تاريخ) .
- سرحان بن سعيد الازكوي :

- كتاب تاريخ عمان : المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع
للأخبار الأمة ، تحقيق عبد المجيد القيسى ، القاهرة ١٩٨٠م .
- سيده اسماعيل كاشف :
- عمان في فجر الاسلام (نشر وزارة التراث القومي — سلطنة
عمان ، ١٩٨٩م) •
- سيف بن حمود بن حامد البطاش :
- ارشاد السائل الى معرفة الأوائل ، سلطنة عمان ١٩٨٨م •
- على حسنى الخربوطلى :
- تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، القاهرة ١٩٥٩م •
- عوض خليفات :
- نشأة الحركة الإباضية ، عمان ١٩٧٨م •
- محمد رشيد العقيلي :
- الإباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها
الأول (نشر وزارة التراث القومي — سلطنة عمان ، ١٩٨٤) •
- محمود شكرى الألوسى :
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، جزء ٣ (القاهرة بدون
تاريخ) •

الفهرس

٣	مقدمة الكتاب
	الفصل الأول
١١	٦ عمان في عصر النبوة
	الفصل الثاني
٣٥	٦ عمان والخلافة الراشدة
	الفصل الثالث
٦١	١ عمان والدولة الأموية
	الفصل الرابع
	عمان بين عهدين — سقوط الدولة الأموية
٨٥	٦ وقيام الدولة العباسية
١١١	الخاتمة
١١٤	المصادر والمراجع

رقم الايداع بدار الكتاب

١٩٩١/٧٨٣٢

الترقيم الدولي

I. S. B. N.

977 — 00 — 2153 — 9

